
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
المحترف
103
نبيل فاروق
رجل المستحيل
103
المحترف
المؤسسة العربية الحديثة
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة
103
03459
المحترف
لماذا يطلب رجل مخابرات إسرائيلى
حق اللجوء السياسى لـ (مصر)؟!..
كيف يواجه (أدهم) وحده جبابرة
(الموساد) والأمريكيين فى (فنزويلا)؟!..
تُرى لمن يكون النصر هذه المرة ، ومن
يستحق فى النهاية لقب (المحترف)؟!..
اقرإ التفاصيل المثيرة وقاتل بمشاعرك
كلها مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..
العدد القادم : الإعصار الأحمر
www.helmelarab.net

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ ـ مهمة أخيرة ..

(تل أبيب) .. الرابع من يوليو ..

انطلقت سيّارة أمريكية سوداء، عبر شوارع المدينة، يقودها سائق ضخم الجثة، بارد الملامح، يخفى عينيه بمنظار داكن، شديد الشبه بالنوافذ الجانبية للسيارة، التى تحجب رؤية من بداخلها تمامًا، وإن لم تثر فضول المارة كثيرًا، فهم يعلمون أن المسار الذى تتخذه السيارة لا يقودها إلا لبقعة واحدة ..

مقر المخابرات الإسرائيلية ..

ولقد اعتادوا ذلك الفضول وألفوه، ولم يعد ينجح فى جذب انتباههم، أو إثارة التساؤلات فى أعماقهم ..

أما ذلك الجالس داخل السيارة، فقد انهمك فى مراجعة بعض البيانات الهامة، على شاشة جهاز الكمبيوتر المحمول، المدمج بحقيبته، ولم يتابع مسار السيارة، التى انحرفت إلى شارع طويل، تتوسّطه بوّابة أمن كبيرة، توقّفت أمامها لحظة، ليبرز السائق بطاقته، وبطاقة الأشقر، الذى أغلق الكمبيوتر، ووضع حقيبته إلى جواره، وهو يقول:

ـ هل من مشكلات؟

ألقى حارس البوّابة نظرة على الأشقر الطويل، ذى الوجه المربّع والملامح القاسية، وقال بلهجة مهذّبة:

ـ مطلقًا يا مستر (جير) .. إنهم بانتظارك فى الداخل ..

ثم أشار إلى السائق، مستطردًا:

ـ اعبر الممر الأيسر، وتوقّف عند ساحة انتظار السيارات.

اتخذ السائق المسار، الذى أشار إليه حارس الأمن، ولم يكد يتوقّف فى ساحة انتظار السيارات، حتى استقبله حارس آخر، فتح باب السيارة الجانبى، وهو يقول فى احترام:

ـ مرحبًا يا مستر (جير) .. تفضّل.

حمل (جير) حقيبته، وتبع الحارس إلى مبنى قريب، واستقلّ معه المصعد إلى الطابق الثالث، وعبرا معًا بوّابة أمن إليكترونية، قبل أن يصلا إلى مكتب مدير (الموساد)، وهنا انسحب الحارس، واستقبل المدير (جير) بالترحاب، وهو يصافحه قائلاً:

ـ صباح الخير يا مستر (جير) .. كيف حال الجميع عندكم، فى المخابرات المركزية الأمريكية؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (رونالد جير)، وهو يجيب:

ـ بخير كالمعتاد.

ثم اتخذ مقعدًا جانبيًا، وفتح حقيبته، ليخرج منها ملفًا صغيرًا، قدّمه للمدير، قائلاً:

ـ هذا هو الهدف الجديد.

التقط مدير (الموساد) الملف، وهو يقول:

ـ طبيعتك لم تتغيّر يا مستر (جير) .. ما زلت عمليًا للغاية، ولا تضيع لحظة واحدة.

تجاهل (جير) العبارة، وكأنه لم يسمع حرفًا واحدًا منها، وهو يتابع:

ـ اسمه (بيرو ستاسى) .. سياسى أمريكى، يتعاطف مع بعض المنظمات العنيفة فى (فنزويلا)، ويصر على عقد مؤتمر صحفى فى العاصمة (كراكس)، فى أثناء زيارته لـ (فنزويلا) فى الأسبوع القادم، وما ينوى الإفصاح عنه فى ذلك المؤتمر بالغ الخطورة، ويمكنه إحراج الحكومة الأمريكية بشدة.

جلس المدير خلف مكتبه، قائلاً:

ـ فهمت .. إذن فهو بوق جديد، ارتفع صوته، وبات من المحتم إسكاته.

نهض (جير)، قائلاً:

ـ كل المعلومات والصور فى الملف، والمؤتمر الصحفى فى التاسع من يوليو.

عقد مدير (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ مهلاً يا مستر (جير) .. لماذا تتعامل معنا دائمًا وكأننا منظمة للقتلة المأجورين ؟ .. لماذا لا تقومون باغتيال ذلك الرجل بأنفسكم ، ما دام وجوده يقلقكم إلى هذا الحد ؟

رمقه (جير) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

ـ كنت أظن أنه توجد اتفاقيات تعاون بيننا ، تحصلون بموجبها على طن من المعلومات سنويًا ، مقابل بعض الخدمات البسيطة .

قال مدير (الموساد) فى حدة :

ـ تقصد بعض الخدمات الحقيرة .

صمت (جير) لحظات ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ إننا نعتمد على كفاءتكم ، فى مثل هذه الأمور .

ثم حمل حقيبته ، مستطردًا فى برود ، وهو يتجه إلى الباب :

ـ فأنتم خبراء فيها .

ازداد انعقاد حاجبى مدير (الموساد) فى غضب ، ولكنه لم يعترض ، واكتفى بمراقبة (جير) ، حتى غادر المكان ، ثم غمغم فى سخط :

ـ غدًا ستدرك أن هذا ليس المجال الوحيد ، الذى نمتلك فيه خبرات واسعة .

وضغط زر جهاز اتصال داخلى أمامه ، قائلاً :

ـ أريد (يائيل) فورًا .

لم يمض ربع الساعة ، حتى دلف إلى مكتبه رجل رياضى القوام ، وسيم ، ممشوق القامة ، استقبله فى اهتمام ، قائلاً :

ـ لديك عملية جديدة يا (يائيل) .

زوى الرجل ما بين حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ عملية جديدة ؟!.. ولكن يا سيّدى ..

قاطعه المدير فى صرامة :

ـ ولكن ماذا ؟!

زفر (يائيل) فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ كنت قد تقدّمت بطلب تقاعد ، و ...

قاطعه المدير فى سرعة :

ـ الطلب مرفوض .

بدا التوتر العنيف على وجه (يائيل) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكننى أصرّ عليه يا سيّدى .

صاح المدير فى وجهه :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!.. كيف تفكّر فى التقاعد ، ولم تتجاوز الأربعين من العمر بعد ؟!.. ثم إنك أفضل قاتل

محترف لدينا ، ورأسك يحوى من الأسرار والتفاصيل ما يكفى لملء ذاكرة كمبيوتر بنكى ، فكيف ترغب فى قضاء سنوات العمر الباقية خاملاً متراخيًا ؟!

أجابه (يائيل) فى توتر :

ـ لقد سئمت هذا العمل يا سيّدى .. لم يعد بإمكانى الاستمرار .. لم أعد أستمتع بمهنة تعتمد على قتل الآخرين .

صرخ المدير :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟!.. أنت محترف .. هل تفهم ؟.. محترف .. وأمثالنا لا يعملون لأنهم يستمتعون بعملهم ، بل يعملون لأنهم تدرّبوا على هذا العمل بالتحديد ، ولأنهم يربحون منه الكثير .. والكثير جدًا .

قال (يائيل) فى عناد :

ـ لست أنكر يا سيّدى .. لقد ربحت الكثير جدًا من عملى هذا ، ولم أعد أرغب فى المزيد .. سأعتزل المهنة ، وأستثمر أموالى فى مزرعة صغيرة ، فى (أمريكا الجنوبية) ، مع (نينا) ، و ...

قاطعه المدير :

ـ (نينا شيريدان) ؟!

أومأ (يائيل) برأسه إيجابًا ، وقال متوترًا :

ـ نعم يا سيّدى .. (نينا شيريدان) ، الصحيفة بجريدة (كول هاعير) .. إننى أحبها منذ زمن ، وهى تبادلنى الحب ، ولقد قرّرنا ..

قاطعه المدير فى حدة :

ـ قرّرتما ؟!.. أهذا قول يصدر عن محترف ؟!.. ألم يعلموك أبدًا أنه لا أحد يترك عملنا هذا بإرادته وحده ؟

قال (يائيل) متبرمًا :

ـ لقد تقدّمت بطلب رسمى .

رمقه المدير بنظرة طويلة ، وعقله يعمل فى سرعة ..

كان من الواضح أن الرجل قد سئم حرفته إلى أقصى حد ..

وأنه لم يعد يحتمل ..

ولثوان ، لم ينبس المدير ببنت شفة ، ثم لم يلبث أن قال فى بطء :

ـ فليكن .

تطلّع إليه (يائيل) فى لهفة متسائلة ، فتابع فى هدوء :

ـ سأوافق على تقاعدك يا (بروزنسكى) .

كاد (يائيل بروزنسكى) يقفز فرحًا ، وهم بشكر رئيسه ، إلا أن هذا الأخير استدرك فى سرعة وصرامة :

- ولكن بشرط واحد .
سأله (يائيل) فى قلق :
- وما هو ؟
صمت المدير لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :
- أن يتم هذا بعد العملية .
عاد حاجبا (يائيل) يلتقيان ، وهو يبتلع هذا الشرط ..
إذن فكل ما يطلبه المدير هو عملية أخيرة ..
عملية يؤدى فيها حرفته ، وبعدها يتقاعد ..
ولم يستغرق منه الأمر طويلاً ، بل أجاب بسرعة وحزم :
- اتفقنا .
ابتسم المدير فى ارتياح ، وألقى إليه الملف ، قائلاً :
- خذ .. حاول أن تنفذ العملية بمهارة كبيرة ، فهى عمليتك الأخيرة .
أجابه (يائيل) فى حماس :
- سأبذل قصارى جهدى .
قالها ، وغادر المكتب فى خطوات سريعة ، مفعمة بالحماس ، وهو يحمل الملف ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى ضغط المدير زر جهاز الاتصال الداخلى ، وقال :

- أرسل لى (دار) .. (شيمون دار) .
واتجه إلى النافذة ، يتطلع منها إلى الفناء الخلفى ، مراقبًا (يائيل) ، الذى قطعه متجهًا إلى قاعة التدريبات ، وظلّ المدير فى وقفته ، حتى سمع طرقات على باب مكتبه ، فقال :
- ادخل يا (دار) .
دخل رجل المخابرات الخاص الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، وهو يقول :
- فى خدمتك يا سيادة المدير .
سأله المدير ، دون أن يلتفت إليه :
- كيف حال ساقك يا (دار) ؟!.. هل شفيت من إصابتها فى العملية الأخيرة ؟
أجابه الرجل فى صوت لا يحمل أية انفعالات :
- نعم يا سيّدى .. لقد شفيت تمامًا .
هزّ المدير رأسه متفهمًا ، وقال :
- عظيم .. سأعهد إليك بمهمة جديدة إذن .
ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :
- مهمة فى (فنزويلا) .
وراح يطرح ما لديه ..
وبأدق التفاصيل ..

★ ★ ★

« يا لها من مفاجأة !!.. »
هتفت (نينا شيريدان) بالعبارة فى فرح ، وهى تصفق بكفيها كالأطفال ، قبل أن تكمل :
- إذن فسنسافر معًا إلى (كراكس) .. يا لسعادتى !.. لم أكن أحلم بأجمل من هذا .
وتأبطت ذراع (يائيل) فى مرح ، مستطردة :
- أتعتقد أن السماء قد استجابت لدعواتى ؟
ابتسم (يائيل) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
- من يدرى ؟.. ربما .. المهم أننا سنسافر معًا ، وأننى سأنتهى آخر أعمالى هناك ، قبل أن نسافر معًا إلى (البرازيل) ، ونبدأ فى إنشاء المزرعة ، التى نحلم بها منذ زمن .
عادت تصفق بكفيها فى سعادة ، قبل أن تسأله بغتة :
- وما العمل ، الذى ستقوم به هناك ؟
صمت لحظات ، دون أن تختفى ابتسامته ، وقال :
- يمكنك القول بأنها عملية تصفية .
باغتها الجواب ، فغمغمت مشدوهة :
- تصفية ؟!
انتبه إلى الأثر ، الذى تركته العبارة فى نفسها ، فأطلق ضحكة مفتعلة ، وضمّها إليه ، قائلاً :

- إنه مجرّد اصطلاح مجازى .. إننى أقصد أنها عملية تصفية أعمال .
هتفت :
- آه .. فهمت .
ثم عادت تضحك فى مرح ، مستطردة :
- لست أصدق أننا سنقضى عمرنا كله معًا .
سألها بابتسامة شاحبة :
- ألن يشعرك هذا بالملل ؟
هتفت فى حماس :
- مطلقًا .. المهم أن نكون معًا ، وألا تنشغل طوال الوقت بعملك عنى .
صمت لحظة ، اكتست خلالها ملامحه بشىء من الحزن ، قبل أن يجيب :
- اطمئنى .. عملى لا يستغرق طويلاً فى المعتاد .
تأملّته صامتة بعض الوقت ، ثم اقتربت منه ، وسألته فى قلق عجيب ، أيقظته فى نفسها غريزتها الأنثوية الكامنة :
- (يائيل) .. ما الذى ستفعله فى (كراكس) بالضبط ؟
حاول أن يبتسم ، وهو يجيب :
- قلت لك : إنها عملية تصفية بسيطة .

تأمّلته مرة أخرى ، قبل أن تمسح وجهه بأناملها ، مغمغمة :

ـ أهى خاصة بالبنك الذى تعمل به ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. آخر عملية لحساب البنك ، قبل أن يوافقوا على اعتزالى .

كان يبذل طاقة هائلة ، ليبدو حديثه بسيطًا مقنعًا ، إلا أنه جاء ، على الرغم منه ، عصبيًّا متوترًا ، مما أورثها مزيدًا من القلق ، وجعلها تشعر فى أعماقها بخوف مبهم ..

خوف من خطر مجهول ، شعرت بأنه يهدّد أمنها وسلامتها ، متمثلين فى الشخص الوحيد ، الذى منحته حبها ، منذ فترة طويلة ..

وعلى الرغم من ثقتها بأنها حصلت على امتياز خاص ، عندما اختارتها الجريدة للسفر إلى (كراكس) ؛ لتغطية المؤتمر الصحفى ، الذى سيعقده (ستاسى) هناك ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها كان يشعر أن هذه الرحلة ستحمل الكثير مما لا يروق لها ..

الكثير جدًا .

★ ★ ★

٢ ـ اغتيال ..

(كراكس) ـ (فنزويلا) .. التاسع من يوليو ..

عقد (بيرو ستاسى) رباط عنقه فى شىء من الحنق ، وهو يقول لمفتش الشرطة الفنزويلى (باردو) فى عصبية :

ـ لست أدرى لماذا تتصرفون بهذه الحساسية المفرطة أيها المفتش ؟!.. أنا واثق من أن أحدًا لن يجرؤ على محاولة اغتيالى ، وسط مؤتمر صحفى عالمى .

أجابه المفتش فى مزيج من الضجر والسخط :

ـ لدولتى رأى مخالف يا مستر (ستاسى) ، فنحن نتصوّر أنك مستهدف وبشدة ، خاصة وأنك تنوى كشف الكثير من الأسرار ، التى لن يروق للكثيرين عرضها علانية ، على هذا النحو .

قال (ستاسى) فى غضب :

ـ من حق الشعوب أن تعرف الحقائق أيها المفتش ، ما دام هذا يتعلّق بمصائرها ، ونحن فى (أمريكا) نؤمن تمامًا بحرية النقد والقول .

ابتسم المفتش فى شىء من السخرية ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

انعقد حاجبا (ستاسى) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ماذا تعنى أيها المفتش ؟.. ما الذى تلمح إليه ؟!

أشار المفتش (باردو) بيده ، قائلاً :

ـ لا شىء بالتأكيد .. أنا رجل أمن ، وليس من حقى التدخل فى السياسة .. كل ما أسعى إليه هو ضمان أمنك فحسب .

صاح (ستاسى) محنقًا :

ـ وما الذى يمكنك فعله أكثر من هذا ؟!.. إنك تضع فريق حراسة كاملاً حول جناحى بالفندق ، وتجبرنى على ارتداء صديرية مضادة للرصاص تحت ثيابى ، وتحضر ثلاثة يشبهوننى تمامًا ، للعمل كبدائل لى .. ما الذى تريده أيضًا ؟!.. هل ستتعاقد مع (سوبرمان) نفسه لحمايتى(*) ؟!

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جوشاستر) و (جيرى سيجال) ، إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات ، وهى لبطل قادم من كوكب آخر ، يكتسب قوة خارقة على الأرض ، ويستخدمها لتحقيق العدل ومكافحة الجريمة ، ولقد نجحت الشخصية نجاحًا مدهشًا ، وربحت منها شركة (أكشن كوميكس) الملايين والملايين .

قال المفتش فى غضب :

ـ ليتنى أستطيع ، فهذا سيعفينى على الأقل من احتمال تقريعك لى طوال الوقت ، وكأننى أسعى لاغتيالك لا لحمايتك .. أنت لا تدرك كم نتجشّم من جهد ومال ، لنحافظ على حياتك .. هؤلاء البدائل ، الذين تسخر من وجودهم ، هم أكبر ضمان لبقائك .. لقد درسنا الأمر كله يا رجل .. درسناه من وجهة نظرنا كمحترفين ، وأصبحنا نعرف أنك آمن هنا ، وفى القاعة التى ستعقد فيها المؤتمر الصحفى ، ولكن منطقة الخطر الأعظم تكمن فى عبورك من الساحة الرئيسية للفندق ، إلى قاعة المؤتمر ، فهذا يحتم سيرك عبر ممر طويل ، له جدران زجاجية ضخمة ، تجعلك مكشوفًا تمامًا ، لعدد من البنايات المواجهة .. والشخص الذى قد يستأجرونه لاغتيالك ، سيكون محترفًا حتمًا ، والمحترف يعلم أنه لن تكون أمامه إلا فرصة واحدة ، لإطلاق رصاصة واحدة ، فإما أن ينجح فى إصابتك بها مباشرة ، أو يفشل ، فيفارقه النجاح إلى الأبد .. هذا لأن الرصاصة ستكشف موقعه ، وتدفع فريق الأمن لاتخاذ إجراءات حمايتك على الفور ، ووجود أربعة أشخاص لهم نفس ملامحك وهيئتك سيربكه حتمًا ، فيعجز عن إصابتك .. هل فهمت ؟

بُهت السيناتور الأمريكى لهذا الوضوح الغاضب ، الذى يتحدَّث به المفتش ، واحتقن وجهه لحظات ، ثم لم يلبث أن ارتدى سترته ، مغمغمًا :

ـ أنتم أكثر دراية بنظم الأمن .

ثم رفع رأسه ، مستطردًا :

ـ هيا بنا .. لست أحب أن ينتظر الصحفيون طويلاً .

قالها ، واتجه إلى الباب فى كبرياء ، جعل المفتش يهزّ رأسه ، ويغمغم فى حنق ساخط :

ـ يا لرجال السياسة .

وفى حذر ، وتحت شبكة أمنية دقيقة ، عبر الموكب الصغير الساحة الرئيسية للفندق ، و (ستاسى) يسير وسط ثلاثة رجال ، يقاربونه ملامحَ ، ويرتدون حلة مشابهة تمامًا لحلته ، وحولهم رجال الأمن ، واتجه الجميع إلى ذلك الممر ذى الجدران الزجاجية ، فخفق قلب المفتش (باردو) فى توتر ، وقال عبر جهاز اللاسلكى :

ـ درجة الاستعداد القصوى .. حاولوا عبور الممر بأسرع ما يمكن .

تحرك الجميع بسرعة أكبر ، فى محاولة لقطع دستة الأمتار ، التى تفصلهم عن قاعة المؤتمرات ، و ...

وفجأة ، أصابت رصاصة ما الجدار الزجاجى ، فى نهاية الممر ، فصاح المفتش (باردو) ، وسط الاضطراب العنيف ، الذى أصاب الموكب :

ـ (ستاسى) .. احموا (ستاسى) .

لم تكد الصيحة تفارق شفتيه ، حتى أدرك الفخ الذى وقع فيه ، ورجاله يندفعون بحركة غريزية نحو (ستاسى) الحقيقى ..

لقد أتقن القاتل خدعته إلى حد مدهش ..

الرصاصة التى أطلقها بعيدًا ، عند نهاية الممر ، جعلت رجال الأمن يكشفون له الهدف الحقيقى ، من بين الأهداف الخداعية ..

وهنا يحين موعد الطلقة الثانية ..

ولقد انطلقت فى موعدها بالضبط ..

بعد ثانية واحدة من الرصاصة الأولى ..

وبعد أن حدَّد القاتل المحترف هدفه بدقة ..

وقبل أن يندفع (باردو) نحو (ستاسى) الحقيقى ، ويحاول دفعه بعيدًا ، أو حتى حمايته بجسده ، اخترقت الرصاصة الثانية الجدار الزجاجى ، وعبرته لتستقر فى منتصف جبهة السياسى الأمريكى مباشرة ..

وصرخ المفتش فى هلع غاضب :

ـ لا .. لا .

أما (ستاسى) ، فقد جحظت عيناه ، وترنَّح جسده لحظة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، وسط فريق أمنى أصابته الصدمة بجرح غائر فى كفاءته وكرامته ..

ولثانية أو ثانيتين ، انعقدت ألسنة الجميع ، ثم صرخ المفتش (باردو) :

ـ القاتل هناك .. فوق ذلك المبنى المرتفع .. الحقوا به .

لم يكن (يائيل) من الغباء ، بحيث لا يدرك أن الغضب سيدفع رجال الأمن إلى التحرك بأقصى سرعة ، وأكبر قدر من العنف ، وأنه ليس أمامه سوى دقائق معدودة للفرار من المكان ، ومحو كل أثر يمكن أن يقود إليه ..

ولم يضع لحظة واحدة ..

لقد تصرَّف كمحترف حقيقى ، فألقى البندقية خلفه ، وخلع قفازيه ، وهو يعدو نحو مدخل السطح ، ووثب متجاوزًا درجات السلم ، التى قادته إلى المصعد ، الذى وضع حائلاً مسبقًا ، بين ضلفتى بابه ، وقفز داخله ، وضغط زر الطابق الثانى ، واستغل فترة الهبوط ليبدل سترته ، فيرتديها على الوجه الآخر ، الذى يحمل لونًا



لقد تصرف كمحترف حقيقى ، فألقى البندقية خلفه ، وخلع قفازيه، وهو يعدو نحو مدخل السطح ..

وتصميمًا مختلفين ، ولم يكد يبلغ الطابق الثانى ، حتى اندفع عبر ممره إلى شقة استأجرها فى اليوم السابق ، تطلّ على شارع جانبى ضيق ، وخرج من نافذتها ليتعلق بماسورة صرف كبيرة ، وينزلق عليها إلى الشارع ، الذى تجاوزه فى خطوات أقرب إلى العدو ، وقفز داخل سيارة تنتظره عند نهايته ، فانطلقت به على الفور ، وسأله قائدها فى اهتمام :

ـ هل فعلتها ؟

ابتسم (يائيل) ، وهو يلهث فى انفعال ، وأشار بإبهامه ، مغمغمًا :

ـ كالمعتاد .

عاد (شيمون دار) يسأله فى حزم :

ـ أأنت واثق من أنك قد أصبته فى مقتل ؟

استرخى (يائيل) فى مقعده ، وأسبل جفنيه قليلاً ، وهو يشير إلى منتصف جبهته ، قائلاً :

ـ ما رأيك فى هذا الموضع ؟

ضاقت عينا (دار) ، وهو يجيب :

ـ رائع .

ثم انحرف بغتة فى شارع جانبى ، وأوقف سيارته عند نهايته المسدودة بجدار ضخم ، فسأله (يائيل) ، وهو يعتدل فى حيرة :

ـ لماذا توقّفت هنا ؟

أجابه (دار) فى هدوء :

ـ أريد اختبار ذلك الموضع .

أطلّت نظرة متسائلة من عينى (يائيل) ، فاستطرد (دار) فى سرعة ، وهو يستلّ مسدسه ، ويصوّبه إلى جبهته :

ـ عندما تستقر فيه رصاصة .

اتسعت عينا (يائيل) فى ذهول ، وتعلّقتا بسبّابة (دار) ، وهى تضغط الزناد بلا تردد ..

ثم انفجرت فى عروقه فورة المحترف ..

وتحرّك بسرعة مدهشة ..

وانطلقت الرصاصة ..

وشعر (يائيل) بآلام حادة فى جبهته ، وبسهم من النار يحتك بها ، واخترق دوى الرصاصة أذنيه على نحو عنيف ، فصرخ :

ـ أيها الحقير !

لم تكن الرصاصة قد اخترقت جبهته ، كما استهدف (دار) ، فقد أنقذته حركته السريعة من الموت ، ولكنها لم تمنع حدوث ذلك الجرح فى جبهته ، والذى سالت منه الدماء لتغمر وجهه ..

إلا أنه تحرّك بسرعة مدهشة ..

تحرّك كمحترف ..

وبكل قوته ، هوى بيسراه على فك (دار) ، وهو يحاول انتزاع المسدس من يده ..

ولكن (دار) كان أيضًا محترفًا ..

وكانت المعركة عنيفة داخل السيارة ..

وبدا من الواضح أن (شيمون دار) أكثر تفوقًا فيها ، نظرًا لطبيعة دوره فى (الموساد) ، التى تحتم حدوث مواجهات مباشرة ، على عكس (يائيل) ، الذى اعتاد دومًا العمل من بعيد ..

وعندما انطلقت الرصاصة الثانية ، شعر (يائيل) بآلام مبرحة فى فخذه ، وأدرك أن (دار) سينتصر لا محالة ، فدفع قدّاحة السيارة ، وهو يهتف :

ـ لماذا ؟.. لماذا تفعل هذا ؟

صاح به (دار) فى غلظة :

ـ أنت غبى .. الموت هو الوسيلة الوحيدة للتقاعد فى عالمنا ، بالنسبة لمن يحملون هذا القدر من الإصرار .

صرخ (يائيل) :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

ثم انتزع القدّاحة المشتعلة ، ودفعها فى عينى (دار) ، الذى أطلق صرخة ألم هائلة ، وتراجع فى عنف ، وسقط

مسدسه تحت قدميه ، فكال له (يائيل) لكمة قوية ، صارخًا :

ـ أنت تستحق هذا .. كلكم تستحقون هذا .

ارتطم (دار) بباب السيارة فى قوة ، وصرخ بكل الألم والغضب فى أعماقه ، وهو يضع يسراه على عينه المصابة ، ويحاول استعادة مسدسه :

ـ ستموت يا (يائيل) .. ستموت جزاء ما فعلته .

انحنى (يائيل) بسرعة ، يفتح باب السيارة ، ثم ركل (دار) بكل قوته ، وألقاه خارجها ، وهو يهتف :

ـ ليس بهذه السهولة .

سقط (دار) خارج السيارة ، وهو يقبض على مسدسه ، فقفز (يائيل) إلى مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ، و (دار) يصرخ :

ـ لن تفلت .. لن تفلت أبدًا .

اقترنت صرخته بدوى رصاصاته ، التى اخترقت زجاج السيارة الخلفى ، واستقرّت إحداها فى كتف (يائيل) ، الذى تأوّه فى ألم ، وزاد من سرعة السيارة ، وهو يمسح الدماء عن عينيه ، ويهتف فى ألم :

ـ يا للأوغاد !.. يا للأوغاد !

انحرف فى الطريق الرئيسى ، وتجاهل أبواق السيارات المعترضة والمستنكرة ، وهو يدور إلى الطريق المقابل ،

فى نفس اللحظة التى اندفع فيها بعض رجال الشرطة ، محاولين الوصول إلى المبنى ، الذى يبعد عنه مائتى متر تقريبًا ، فتجاوزهم فى مهارة ، واندفع نحو الفندق ، الذى احتشد الصحفيون أمامه ، ودارت عيناه بينهم بسرعة البرق ، قبل أن تستقرا على وجه (نينا) ، فهتف :

- (نينا) .. (نينا) .

التفتت (نينا) إلى مصدر الصوت فى دهشة ، ثم شهقت فى هلع ، عندما رأت (يائيل) داخل السيارة ، والدماء تغرق كتفه وجبهته ، فأسرعت إليه هاتفة :

- ماذا حدث ؟.. ماذا أصابك ؟

صاح بها فى توتر بالغ :

- اركبى بسرعة .. لا وقت للنقاش .

كان لديها ألف سؤال ، ترغب فى طرحها عليه ، إلا أن هيئته ، والطريقة التى تحدث بها ، جعلاها تقفز إلى السيارة بسرعة ، فانطلق هو بها ، وسألها فى عصبية :

- لقد زرت (فنزويلا) من قبل .. هل تعرفين مكانًا مناسبًا ، يمكننا أن نختفى فيه بعض الوقت .

هتفت فى دهشة هلعة :

- نختفى فيه ؟!.. ماذا تعنى ؟!.. ماذا حدث بالضبط ؟

صاح بها فى حدة :

- أجيبى عن سؤالى .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وقالت :

- نعم .. أعرف مكانًا منعزلاً ، لو أن هذا ما تقصده ، ولكن أخبرنى أولاً .. ما الذى فعل بك هذا ؟

وانحنت تلقى نظرة على جرح كتفه ، قبل أن تصرخ :

- (يائيل) .. إنك مصاب برصاصة !!

أجابها متوترًا :

- بل رصاصتين ، والثالثة جرحت جبهتى .

شهقت هاتفة :

- ثلاث رصاصات ؟!.. (يائيل) .. أخبرنى بالله عليك .. ماذا حدث ؟

ثم انعقد حاجباها بشدة ، وهى تستطرد :

- قل لى : ألهذا علاقة بمقتل السيناتور (ستاسى) ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم واقتضاب :

- نعم .

توترت أعصابها بشدة ، وهى تسأله :

وما علاقتك بهذا الأمر بالضبط ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب فى حسم :

- أنا قتلته .

شهقت (نينا) فى قوة ، وتراجعت كالمصعوقة ، وهى تخفى فمها بقبضتيها ، قبل أن تهتف فى صوت شاحب مبحوح ، يسبح فى بحر من الانفعالات :

- أنت ؟!.. أنت يا (يائيل) ؟!.. ولماذا تفعل هذا ؟!

أجابها فى توتر بالغ :

- إنها مهنتى .

هوى قلبها بين ضلوعها ، وهى تردد فى ارتياع :

- مهنتك ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وحاول التغلب على آلامه المبرحة ، وهو يقول :

- اسمعينى جيدًا ، وكفى إضاعة للوقت .. لقد أخفيت عنك الأمر ؛ لأننى لم أجد فيه ما يستحق الفخر ، ولأننى كنت أنوى مخلصًا أن أعتزل المهنة ، وأن أتزوجك ، لنحيا معًا فى مزرعتنا فى (البرازيل) ، ولكن الأوغاد خدعونى ، وحاولوا التخلص منى فى العملية الأخيرة .

سألته فى حذر مذعور :

- أى أوغاد ؟

أجابها فى مقت :

- (الموساد) .

شهقت فى رعب ، وهى تتراجع فى عنف ، وقد انخرس لسانها تمامًا ، فى حين تابع هو فى توتر شديد :

- إننى أعمل لحسابهم منذ زمن طويل .. قاتل محترف ، ضمن فرقة الاغتيالات ، ولكننى لم أتصور أبدًا أنهم بهذه الخسة .

ارتجفت من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى تقول :

- لابد أن نهرب .. لابد أن نفلت من بين أصابعهم ، وإلا مزقونا إربًا .

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- الفرار منهم مستحيل !.. أنا أعرف كيف يتعاملون ، مع مثل هذه المواقف .. سيراقبون الحدود ، ومداخل ومخارج المدينة ، وطرق المواصلات بأنواعها ، وسينتشر جواسيسهم فى كل شارع .. لن تكون هناك وسيلة للهرب ، خاصة مع إصاباتى ، وانعدام خبرتى تقريبًا فى هذا المجال .

سألته فى ارتياع أقرب إلى الانهيار :

- ماذا نفعل إذن ؟!.. ماذا نفعل ؟

أجابها فى حزم :

ـ نستغل الوقت بسرعة ، ولا نضيع منه لحظة واحدة ، ثم نتجه إلى آخر مكان يمكن أن يخطر ببالهم .
سألته فى لهفة متوترة :
ـ وما هو ؟! .
التقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على آلامه وانفعالاته ، قبل أن يجيب :
ـ السفارة .. السفارة المصرية .
وكانت مفاجأة للصحفية الشابة ..
مفاجأة مذهلة .

* * *



٣ ـ الصفقة ..

(القاهرة) .. العاشر من يوليو ..
جذب (قدرى) المنظار المكبّر الضخم ، ليدور به حول قاعدته المعدنية ، وانحنى فوقه ، يتطلع فى اهتمام إلى بطاقة من البلاستيك المضغوط ، تحمل كلمات عبرية ، إلى جوار صورة ضوئية لشخص ملتحٍ ، ثم هزّ رأسه بعدم رضا ، وقال محدثًا شابًا نحيلاً ، يقف إلى جواره ، داخل معمله الخاص ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية :
ـ إنه يبدو متقنًا من بعيد ، ولكنه لن يصمد أمام الفحص الدقيق .. انظر إلى الحروف فى الركن الأيمن السفلى .. إنها باهتة ، عند تكبيرها عشر مرات فحسب ، فماذا لو تم فحصها بالكمبيوتر ؟!
سأله الشاب فى اهتمام :
ـ وما الحل فى رأيك ؟
لوّح (قدرى) بيده فى حزم ، وهو يجيب :
ـ أن تستخدم الوسيلة نفسها .. إنهم يفحصونها باستخدام الكمبيوتر ، بعد تكبيرها إلى مائة ضعف من حجمها الأصلى ..

استخدم أنت أيضًا الكمبيوتر فى صنعها ، وقم بتكبيرها مائتى مرة إن استطعت .. المهم أن يكون عملك شديد الإتقان ، حتى لا يمكن كشف أمره إلا باستخدام تقنية متقدّمة للغاية .
ابتسم الشاب ، وهو يقول فى لكنة تشوبها نبرة ساخرة :
ـ وما هذه التقنية المتقدّمة فى رأيك ؟!.. منظار مكبّر كهذا ؟
عقد (قدرى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :
ـ فى أيامى ، كنت أصنع المعجزات ، بهذا المنظار البسيط .
قال الشاب بنبراته المستفزة :
ـ لست أعتقد أن معجزاتك تلك تصلح لأيامنا هذه .
احتقن وجه (قدرى) ، وهم بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع صوت صارم ، يقول :
ـ بل أنت الذى لا يصلح لعملنا يا هذا .
التفت (قدرى) والشاب معًا إلى مصدر الصوت ، وهتف الأوّل فى سعادة واضحة :
ـ (أدهم) ؟!.. حمدًا لله على سلامتك يا رجل .
قالها ، واندفع يصافح (أدهم) فى حرارة ، مستطردًا :
ـ متى وصلت من (أمريكا) ؟.. كيف حال (منى) هناك ؟

تنهّد (أدهم) ، وهو يجيب :
ـ وصلت منذ ساعة واحدة يا صديقى .. أما (منى) ، فما زالت غارقة فى غيبوبتها العميقة ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، متى تستيقظ منها .
همّ (قدرى) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الشاب اندفع قائلاً فى حدة ، وبنبرة متحدية :
ـ ربما كان من رأيك أننى لا أصلح لمثل هذا العمل ، ولكننى مررت باختبارات عدة ، أكّدت فى النهاية صلاحيتى للعمل ، و ...
قاطعه (أدهم) فى صرامة :
ـ اصمت .
كان الشاب يمتلئ تحديًا بالفعل ، إلا أن صوت (أدهم) جعله ينتفض فى عنف ، ودفع شجاعته إلى الفرار من قلبه إلى قدميه ، والدماء تكاد تتجمّد فى عروقه ، وبطلنا يستطرد صارمًا :
ـ لو أنك تمتلك ذرة واحدة من العقل والحكمة ، لأسعدك أن تتلمذ على يد أعظم خبير تزييف وتزوير عرفته ، فى الدنيا كلها ، ولبذلت قصارى جهدك ؛ لتنهل منه قدر استطاعتك .
حاول الشاب أن يستعيد سيطرته على نفسه ، وهو يقول :

- ولكن هذه الأساليب لم تعد تناسب تكنولوجيا العصر .

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

- هذا هو الخطأ ، الذى يقع فيه الجميع .. التكنولوجيا تتبدّل وتتطوّر وتتغيّر دائمًا ، ولكن الشىء الذى يبقى ويتفوّق هو الخبرة والموهبة .. نفس الخبرة ، التى جعلت (قدرى) يدرك أهمية وخطورة الكمبيوتر ، فى هذا العصر ، وينصحك باستخدامه ، كما يستخدمه الخصم .. ما الذى يشفّ عنه هذا فى رأيك .. العبقرية أم الحماقة ؟!

بقى الشاب متطلّعًا إلى عينى (أدهم) لحظة ، ثم لم يلبث أن عجز عن الاستمرار ، فخفض عينيه ، مغمغمًا :

- عن العبقرية بالتأكيد .

ثم التفت إلى (قدرى) ، مستطردًا فى ارتباك :

- معذرة يا أستاذ (قدرى) .. هل تسمح لى بالانصراف ؟.. أقصد لساعة واحدة ، ثم أعود لاستكمال الدرس .

أشار إليه (قدرى) بسبّابته ، مجيبًا :

- بالطبع .. خذ ما يكفيك من الوقت ، وسأنتظرك .

انصرف الشاب بسرعة ، والخجل يملأ نفسه ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى اندفع (قدرى) يصافح (أدهم) ثانية ، فى حرارة أكثر ، ويربّت على كتفه قائلاً :

- أشكرك .. أشكرك يا صديقى .. أنت لا تتخلّى عنى أبدًا .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- فيم الأصدقاء إذن يا رجل .

ثم جلس يسأله :

- كيف حال يدك يا صديقى ؟

تطلّع (قدرى) إلى كفه فى حزن ، وهو يجيب :

- أستطيع استخدامها ، ولكنها لم تعد إلى سابق عهدها قط ، منذ حطّمها ذلك الوغد فى (لوس أنجلوس)(*) ، ولهذا أكتفى بتدريب المستجدين ، فى قسم التزييف والتزوير .

أجابه (أدهم) بابتسامة هادئة :

- إنها مسألة وقت يا صديقى .. سيعود كل شىء إلى عهده مع الوقت .

أومأ (قدرى) برأسه موافقًا ، وغمغم :

- نعم .. إنها مسألة وقت .

ثم أضاف فى اهتمام :

- وهذا ينطبق على حالة (منى) أيضًا .

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

صمت (أدهم) لحظات ، أطلّ الحزن خلالها من عينيه واضحًا ، قبل أن يغمغم :

- أرجو هذا .

تطلّع إليه (قدرى) مشفقًا ، وسأله :

- هل تفتقدها يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) فى حزن ، وهو يجيب :

- يا له من سؤال !

ثم نهض من مقعده ، واتجه إلى النافذة ، وتطلّع عبرها لحظة فى شرود ، قبل أن يتابع بصوت حزين :

- إننى أشعر بدونها وكأننى جثة بلا روح يا صديقى .

ترقرقت دمعة فى عينى (قدرى) ، وهو يتمتم فى خفوت شديد :

- أتحبها إلى هذا الحد ؟!

كان يفكّر فى إضافة عبارة أخرى ، عندما ارتفع صوت دقّات على باب المعمل ، فقال (قدرى) بحركة غريزية :

- ادخل يا من تطرق الباب .

دلف إلى الحجرة أحد الجنود ، وأدّى التحية العسكرية فى احترام ، قبل أن يقول :

- المدير يطلبك فى مكتبه فورًا ، يا سيادة العقيد .

التفت إليه (أدهم) ، ملقيًا كل انفعالاته خلف ظهره ، وهو يقول :

- سأذهب إليه على الفور .

قالها فى حزم واضح ، وقوة تثير الإعجاب ، وكأنما نفض قلبه بكل مشاعره بغتة ، وارتدى ثوبه الخاص جدًا ..

ثوب الرجل ..

رجل المستحيل ..

★ ★ ★

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم) بالجلوس ، وهو يدفع إليه صورة ضوئية ، قائلاً :

- قل لى يا (ن - ١) : هل تعرف هذا الرجل ؟

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على الصورة ، قبل أن يقول فى هدوء :

- اسمه (يائيل بروزنسكى) .. قاتل محترف ، يعمل ضمن فريق الاغتيالات الخاص بـ (الموساد) ، من (الصابرا)(*) ، أصوله بولندية ، فى الثامنة والثلاثين

(*) الصابرا : الجيل الجديد من الشباب والرجال والنساء ، الذين ولدوا فى (إسرائيل) ، بعد إعلان قيامها كدولة ، عام ١٩٤٨ م ، ووصول المهاجرين إليها .

من عمره ، يحمل الرمز الكودى (ياز ـ ٧٠٦) ، قام بتنفيذ عملية اغتيال البلجيكى (آلان جواليه) ، والألمانى (هانز فردريك) ، وغيرهم من السياسيين ، الذين يعارضون فكرة قيام (إسرائيل) ؛ تنفيذًا لخطة مستمرة ، تستهدف كل المعادين للنظم الاستعمارية ، ويُعتقد أنه وراء عملية اغتيال السياسى الفرنسى (موريس شيفال) فى العام الماضى .

أومأ المدير برأسه مؤيدًا ، وابتسم وهو يقول :

ـ تعجبنى ذاكرتك الموسوعية هذه يا (أدهم) ، ولكن أضف إلى معلوماتك أن (يائيل بروزنسكى) هو المسئول أيضًا عن اغتيال السياسى الأمريكى (بيرو ستاسى) أمس .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ هل توصّل رجال مكتبنا فى (فنزويلا) إلى هذا يا (سيّدى) ؟

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ بل أقرّ به (يائيل) نفسه .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يسأل فى حذر :

ـ ما الذى يكمن خلف هذا يا سيّدى ؟

أجابه المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

ـ بعد تنفيذ عملية اغتيال (ستاسى) ، حاول (الموساد) التخلّص من (يائيل) ؛ لإصراره على التقاعد بعد العملية ، ولكنه نجح فى الفرار منهم ، على الرغم من إصابته برصاصاتهم ، ولجأ إلى سفارتنا فى (كراكس) ، وهناك تقدم بطلب رسمى بحق اللجوء السياسى .

هتف (أدهم) فى دهشة :

ـ حق اللجوء السياسى إلى (مصر) ؟!.. إنها سابقة تعدّ الأولى من نوعها يا سيّدى ، أن يسعى رجل مخابرات إسرائيلى لطلب حق اللجوء السياسى لـ (مصر) ..

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا (ن ـ ١) .. إنها السابقة الأولى من نوعها ، ولكن (يائيل) كأى رجل مخابرات محترف ، يحمل الكثير والكثير من الأسرار ، التى تستحق بذل الجهد للحصول عليها ، فلقد لجأ (يائيل) إلى سفارتنا هناك ، مع خطيبته الصحفية الإسرائيلية (نينا شيريدان) ، وطلب عقد صفقة خاصة ، فاستقبله ملحقنا العسكرى ، واستدعى طبيبًا لمداواة جراحه ، وإخراج الرصاصات من جسده ، ثم سأله عما يريده ، فأعلن (يائيل) استعداده لمنحنا كل ما لديه من أسرار ، مقابل منحه حق اللجوء السياسى لـ (مصر) .

قال (أدهم) فى اهتمام :

ـ لو أنها ليست خدعة ، فالصفقة عادلة فى رأيى .

قال المدير :

ـ هذا صحيح ، ولقد وافقت القيادة السياسية على عقد الصفقة ، لما فيها من فائدة لنا ، ولكن الأمر لا يمكن أن يتمّ بهذه البساطة ، فقد خرج الطبيب من السفارة ، ليبلغ الإسرائيليين بالأمر ، ولقد جنّ جنونهم بالطبع ، وأحاطوا السفارة بجواسيسهم ، وسيبذلون قصارى جهدهم حتمًا ؛ للتخلُّص من (يائيل) ، قبل أن يصل إلى هنا .

صمت (أدهم) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ إذن فالمشكلة تكمن فى كيفية إخراج (يائيل) من السفارة ، وإحضاره سالمًا إلى هنا .

أشار المدير بسبّابته ، قائلًا :

ـ وهى ليست بالمهمة السهلة أو الهينة يا (ن ـ ١) ، فصحيح أن الإسرائيليين لن يبلغ بهم الجنون حد مهاجمة السفارة لانتزاعه بالقوة ، إلا أنهم لن يتورّعوا عن القيام بأى عمل كان ؛ للتخلُّص منه ، حتى ولو هاجموا كل سيارة تغادر السفارة ، أو نسفوا أى صندوق دبلوماسى يخرج

منها ، على الرغم من القوانين التى تحمى الحقيبة الدبلوماسية فى العالم كله(*) .

.. وأنت تعرف كيف يتجاهل الإسرائيليون كل العهود والمواثيق الدولية ، لو أنها تتعارض مع مصلحتهم الخاصة ، ثم إن حيلهم وألاعيبهم لا تنتهى .

ثم تراجع مرة أخرى فى مقعده ، قبل أن يضيف :

ـ ثم إن الأمر لا يخصّ الإسرائيليين وحدهم .

أطلّت نظرة تساؤل من عينى (أدهم) ، فتابع المدير مفسّرًا :

(يائيل) يؤكّد أن ما لديه من أسرار يمسّ المخابرات المركزية الأمريكية أيضًا ، والحكومة الأمريكية بالتالى ، وهذا يعنى أنهم سيضعون ثقلهم كله فى اللعبة ، مما يجعلها أكثر عنفًا وخطورة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ نحن لها يا سيّدى .

ثم نهض مستطردًا ، فى لهجة أقرب إلى الجذل :

(*) الحقيبة الدبلوماسية : اسم يطلق على أية رسائل أو حقائب ، أو طرود ، مهما كان حجمها ، يتم إرسالها من أية سفارة إلى دولتها أو العكس ، وكل المواثيق الدولية تمنع فتح أو تفتيش الحقائب الدبلوماسية ، إلا بطلب رسمى ، وبحضور مندوب من السفارة .

ـ إننى أميل بطبعى إلى هذا النوع من التحديات ، فاللعبات المعقّدة تستحثّ حماسى ، وتستثير رغبتى فى الصراع .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ دعنا نقتحم اللعبة إذن يا سيّدى ؛ لنثبت لهم أننا الأكثر براعة ، على الرغم من كل ما يحيطون به أنفسهم من دعايات مدروسة ، وأساطير خيالية منسوجة ، وأننا سننتزع رجلهم من تحت أنوفهم ، ونتحدّى ذكاءهم وخبراتهم علانية .. دعنا نريهم من يجيد اللعبة أكثر .

صمت المدير تمامًا ، وهو يستمع إليه ، ثم قال :

ـ سنفعل بإذن الله يا (ن ـ ١) ، وسنرسلك إلى (كراكس) بعد ساعة واحدة ، ولكن هناك أمر بالغ الأهمية ، لابد أن تدركه قبل أن تبدأ العملية .

واكتسى صوته برنة صارمة ، مع استطرادته :

ـ هذه العملية بالغة الخطورة يا (ن ـ ١) ، لذا فلن نسمح بالخروج عن الخطة الموضوعة قط .. هل تدرك هذا ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا سيّدى ، ولكننى أرغب فى إضافة عبارة بالغة الأهمية ، فلن يُسمح بالخروج عن الخطة الموضوعة قط ، ما لم تقتض الأمور هذا أو تحتمه .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى يا (ن ـ ١) ، فعندما تتأزّم الأمور ، يتحتّم الانتقال إلى الخطط التلقائية والعشوائية .. وهذا ما تثبت فيه جدارتك دومًا ، والذى تم اختيارك للقيام بالعملية من أجله .

تنهّد (أدهم) ، وقال :

ـ فى هذه الحالة ، أعتقد أننى لا أطيق صبرًا على بدء اللعبة يا سيّدى ..

وارتسمت ابتسامة جذلة على شفتيه ، وهو يضيف :

ـ لعبة المحترفين .

وكانت هذه إشارة البدء .

★ ★ ★

٤ ـ الخطة ..

(كراكس) .. الحادى عشر من يوليو ..

التاسعة مساءً ..

فركت (نينا) كفيها فى توتر بالغ ، وهى تقول للملحق العسكرى المصرى ، داخل مبنى السفارة :

ـ ما زالوا يحاصرون المبنى .. لايبدو لى أنه هناك أدنى أمل فى النجاة .. لن يسمحوا لنا بالخروج من هنا قط .. على قيد الحياة .

أجابها الملحق العسكرى فى هدوء :

ـ اهدئى يا سيّدتى .. كلنا نعلم أن الأمر ليس سهلاً ، ولكنهم أبلغونى من (القاهرة) أنهم أرسلوا محترفًا لمعالجة الأمر .

هتف (يائيل) مستنكرًا :

ـ محترفًا ؟!.. هل تعنى أنهم أرسلوا رجلاً واحدًا ، لمواجهة تلك الجيش فى الخارج ؟!.. هل أصابهم الجنون يا رجل ؟!.. ألا يعلمون أن رجال (الموساد) يتلقّون تدريبات مكثفة ، تجعل الواحد منهم بمثابة فرقة كاملة ؟!.. كان المفترض أن يرسلوا جيشًا جرارًا .

قال الملحق العسكرى فى صرامة :

ـ إنهم يعرفون ما يفعلونه .

اندفعت (نينا) تقول فى عصبية :

ـ ولكننى أتفق مع (يائيل) .. من المستحيل أن ينجح رجل واحد فى خداع كل هؤلاء الرجال ، الذين اجتمعوا على حتمية التخلّص منا !.. العقل لا يمكنه قبول هذا .

قال الملحق العسكرى ، وهو يشيح بوجهه :

ـ لا تعليق .

هتف (يائيل) :

ـ اسمع يا هذا .. إما أن أشعر بأننى آمن تمامًا ، وأنكم تستطيعون حمايتى ، ويمكنكم معاونتى على السفر إلى بلادكم آمنًا سالمًا ، أو ألغى الصفقة كلها .

ارتفع صوت ساخر ، يقول :

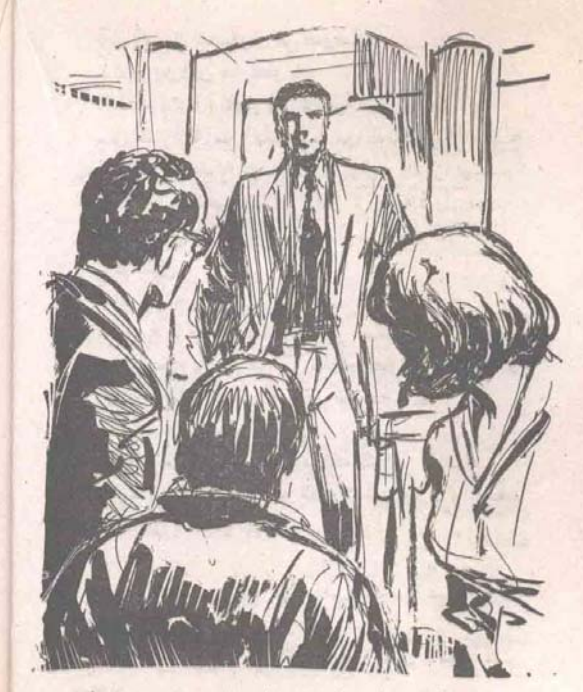
ـ يا للخسارة !.. لم يعد بإمكانك التراجع يا فتى .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى توتر ، واتسعت عينا (يائيل) ، وهو يهتف فى ذهول :

ـ (أنت) ؟!

تقدّم (أدهم صبرى) إلى داخل الحجرة فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أنت تعرفنى إذن .. عظيم .. هذا يجعل الأمور أكثر سهولة .



تقدم (أدهم صبرى) إلى داخل الحجرة فى هدوء ، وهو يقول :
ـ أنت تعرفنى إذن .. عظيم ..

هتف (يائيل) فى حدة :
ـ بل أكثر تعقيدًا .
سألته (نينا) فى توتر بالغ :
ـ هل تعرف هذا الرجل يا (يائيل) ؟.. هل التقيت به من قبل ؟
نهض الملحق العسكرى يستقبل (أدهم) فى حرارة ، فى حين أجاب (يائيل) فى عصبية :
ـ صحيح أننى لم ألتق به فى حياتى قط ، ولكن كل من يعمل فى (الموساد) يحفظ صورته عن ظهر قلب ، ويعلم أن ظهوره فى الساحة يعنى صراعًا رهيبًا ، وخسائر لا حصر لها .
قال (أدهم) ساخرًا :
ـ إنك تثير فى نفسى الغرور يا رجل .
أما (نينا) ، فقالت فى دهشة :
ـ كنت أتصوّر أن هذه الأمور تخضع للسرية البالغة .
هتف (يائيل) ، وهو يلوّح بسبّابته :
ـ هذا الواقف أمامك هو الاستثناء الضرورى ، لتأكيد كل قاعدة .. إنه رجل المخابرات الوحيد ، الذى يعمل بوجه عار وأوراق مكشوفة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو ينتصر فى النهاية ، ويكبدنا خسائر فادحة .
تطلّعت (نينا) إلى (أدهم) فى انبهار ، مغمغمة :

ـ حقًّا ؟!
أما (يائيل) ، فقال فى عصبية :
ـ قل لى يا سيّد (أدهم) : كيف وصلت إلى هنا ؟
هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو يجيب فى بساطة :
ـ استأجرت واحدة من سيارات الأجرة .
هتف (يائيل) :
ـ ألم تبدل هيئتك أو ملامحك ؟
عاد (أدهم) يهزّ كتفيه ، قائلاً :
ـ لم أكن بحاجة إلى هذا .
حدّق (يائيل) فى وجهه بذهول ، قبل أن يقول :
ـ أتعنى أنك وقفت السيارة أمام السفارة ، وغادرتها تحت مصابيح الشارع الساطعة ، ودخلت إلى هنا بكل سهولة ، دون أن تحاول حتى إخفاء شخصيتك ؟!
ابتسم (أدهم) ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :
ـ بالضبط .
كاد (يائيل) ينفجر فى سخط غاضب ، إلا أن شيئًا ما فى ابتسامة (أدهم) ، جعله يبتلع غضبه وسخطه ، ويحدّق فى وجهه فى حيرة وقلق ..
فقد كانت ابتسامة (أدهم) توحى بالغموض .. بالكثير من الغموض ..

★ ★ ★

وقف (شيمون دار) سيارته ، عند الإفريز المقابل للسفارة المصرية ، وتحسّس تلك العصابة السوداء ، التى تخفى عينه اليسرى ، قبل أن يتجه إليه أحد رجاله ، الذين زرعهم حول السفارة ، وهو يقول :
ـ أدون (دار) .. إننا ننتظرك بفارغ الصبر .
سأله (دار) فى اهتمام :
ـ هل من جديد ؟
أشار الرجل إلى السفارة ، قائلاً :
ـ هل تعلم من وصل إلى هنا ، منذ ساعة تقريبًا ؟
أطلّ التساؤل من عينى (دار) ، دون أن يفصح عنه لسانه ، فمال الرجل نحوه ، وأضاف فى توتر واضح :
ـ (أدهم) .. (أدهم صبرى) .
خُيّل للرجل أن جسد (دار) قد انتفض فى عنف ، وأن عينه السليمة قد جحظت لحظة ، قبل أن يكرّر فى ارتياع ، بدا واضحًا فى صوته ولهجته :
ـ (أدهم صبرى) ؟!
ثم تحوّل انفعاله كله دفعة واحدة إلى سخط غاضب ، وهو يستطرد :
ـ إذن فقد أرسلوه .. اختاروه للقيام بالعمل .
سأله الرجل فى قلق :
ـ هل أرسل فى طلب إمدادات ؟

قال (دار) فى حدة :
ـ إمدادات ؟!.. إننا أكثر من دستة من المحترفين يا رجل .. ألن يكفى عددنا لمنع رجل واحد من مغادرة السفارة مع رجلنا ؟!
أجابه الرجل فى قلق :
ـ ولكنه (أدهم صبرى) .
هتف (دار) محتدًا :
ـ حتى ولو كان الشيطان نفسه .. لن نسمح له بالفرار منا قط .
وصمت لحظات مفكّرًا ، وهو ينقر بأصابعه على عجلة القيادة فى عصبية ، قبل أن يقول :
ـ تأهّبوا جميعًا ، واستعدوا لأى تصرُّف غير متوقَّع ، و ...
قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار مكتوم ، على مقربة من المكان ، وانقطع التيار الكهربى فى المنطقة كلها بغتة ، فهتف (دار) :
ـ يا للشيطان !.. لقد فعلها (أدهم صبرى) .
ثم صاح فى رجاله :
ـ لا تسمحوا له بالفرار .. لقد نسف محوّل الطاقة الكهربية للمنطقة ، حتى يمكنه استغلال الظلام لتهريب (يائيل) .

لم يكد ينتهى من قوله ، حتى اندفع رجلان من السفارة ، نحو سيارة متوقّفة فى ساحتها ، وسمع الجميع صوت (يائيل) فى وضوح ، وهو يهتف بالعبرية :
ـ أسرع يا رجل .. أسرع بالله عليك .
قفز الاثنان داخل السيارة ، التى انطلقت بأقصى سرعة ، وأطلقت إطاراتها صريرًا عنيفًا ، وهى تعبر بوّابتها ، وتنحرف فى الطريق الرئيسى ، فصاح (دار) ، وهو يدير محرّك سيارته :
ـ امنعوهما .. لا تسمحوا لهما بالفرار .
انطلقت عشرات الرصاصات خلف السيارة ، وأصاب بعضها جسمها ، و (أدهم) ينطلق بها بأقصى سرعته وهو يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :
ـ هيا أيها الأوغاد .. لقد بدأت اللعبة ، وعليكم إثبات تفوّقكم فيها .
اندفعت ثلاث سيارات خلفه فى الشارع الرئيسى ، المجاور للسفارة ، وانحرفت إحداها فى شارع فرعى ، فى محاولة لقطع الطريق على سيارة (أدهم) ، عند المخرج الرئيسى للشارع ، فى حين واصلت الأخريان طريقهما خلفه ، فى محاولة للحاق به ، وسط زحام الطريق ..

ولكن فجأة ، انحرف (أدهم) بالسيارة فى شارع فرعى ضيق ، انطلق فيه بأقصى سرعته ، فلحقت به السيارتان ، واستخدم (دار) جهاز اللاسلكى فى سيارته ، ليقول للباقين :
ـ إنه يتجه إلى شارع (بوليفار) ، حاولوا قطع الطريق ، عند المدخل الفرعى لشارع (بوينس) ، و ...
بتر عبارته فجأة ، ليهتف :
ـ توقفوا .. إنه هنا .
كانت السيارة ، التى استخدمها (أدهم) للفرار ، متوقّفة وسط شارع (بوينس) الفرعى ، وباباها الأماميان مفتوحان ، وقد خلت من راكبيها تمامًا ..
وبصرير عنيف ، توقّف (دار) بسيّارته ، خلف سيارة (أدهم) ، وتوقّفت خلفه السيارة الأخرى ، ووثب الجميع من السيارتين ، فأشار (دار) إلى نهاية الشارع ، هاتفًا :
ـ أغلقوا الشارع من الناحيتين .. لا تسمحوا بدخول أو خروج أى شخص منه ، حتى نفتش كل منزل فيه .
أطاع رجاله الأمر ، وأحكموا حصار الشارع ، فى حين اتصل هو بمقر قيادته لاسلكيًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ أريد إمدادات .. كثيرًا من الإمدادات .. إننا نحاصر (أدهم صبرى) و (يائيل) فى شارع (بوينس) .. أسرعوا بحق الشيطان .
قالها ، وانتزع مسدسه فى توتر بالغ ، وهو يدرك أن الإيقاع برجل مثل (أدهم صبرى) لن يكون سهلاً ..
لن يكون كذلك أبدًا ..
وفجأة ، هتف أحد رجاله ..
ـ سيّدى .. انظر هناك .
التفت (دار) فى سرعة ، إلى حيث يشير الرجل ، ورأت عينه الواحدة (أدهم) ، وهو يثب من أحد الأسطح إلى آخر ، فصاح :
ـ فليلحق به ثلاثة منكم ، ولكن إياكم وفك الحصار بالكامل .. إنه يحاول إبعادنا عن (يائيل) .
أما (أدهم) ، فقد ابتسم فى سخرية ، وهو يثب إلى سطح ثالث ، مغمغمًا :
ـ هيا .. أثبتوا تفوّقكم أيها الأوغاد .
كان بإمكانه أن يقفز إلى سطح رابع ، يمنحه فرصة الابتعاد عنهم أكثر ، إلا أنه ، ولسبب ما ، توقّف فوق ذلك السطح الثالث ، وألقى نظرة على ساعته ، قائلاً :
ـ عظيم .. كل شىء يسير وفقًا للخطة .. سبع دقائق أخرى ، وتنتهى هذه الجولة على ما يرام .

لم يكد ينتهى من قوله ، حتى لمح إشارة مصعد السطح ، التى تشير إلى قدوم بعضهم ، فابتسم فى شىء من الجذل ، مستطردًا :

ـ ويبدو أنها ستكون سبع دقائق حافلة .

لم تمض بضع ثوان على عبارته ، حتى وصل المصعد إلى السطح ، واندفع منه الرجال الثلاثة ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، وهتف أحدهم بزميليه :

ـ أنت إلى اليمين ، وأنت إلى اليسار .. سأسيطر على المنتصف .

انطلق الثلاثة يفتشون السطح فى شراسة ، ولكنهم ما إن ابتعدوا عدة أمتار ، حتى سمعوا صوتًا من خلفهم ، يقول فى سخرية :

ـ لا ترهقوا أنفسكم أيها الأوغاد .. أنا هنا .

استدار الرجال الثلاثة إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ووقع بصرهم على (أدهم) ، وهو يبرز من خلف المصعد ، فارتفعت فوهات مدافعهم نحوه ، ولكن قبل أن يكتمل ارتفاعها ، أطاحت قدم (أدهم) بأحدها بركلة عنيفة ، ثم دار حول نفسه ، وقبض على ماسورة المدفع الثانى ، وجذب صاحبه إليه فى سرعة ، وضرب به زميله الثالث بمبادرة مباغتة ، سقط لها الرجل أرضًا ، وزميله يهتف فى غضب :

ـ أيها الـ ..

جعله (أدهم) يبتلع عبارته بلكمة ساحقة ، أضافت إلى العبارة اثنتين من أسنان الرجل ، وجرعة من دمه ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، و (أدهم) يدور حول نفسه فى رشاقة مدهشة ، ويركل الثانى فى أنفه ، الذى تحطّم فى عنف ، وتفجّرت منه الدماء ، التى حاول أن يمسحها بكفه ، لولا اللكمة التالية ، التى أسقطته إلى جوار زميله فاقد الوعى بدوره ..

ووثب الثالث ، محاولاً استعادة مدفعه ، وكادت يده تلتقطه بالفعل ، لولا أن سبقته قدم (أدهم) إليه ، وركلته بعيدًا ، وصاحبها يقول :

ـ هل كنت تأمل حقًا فى هذا ؟

هبّ الرجل واقفًا ، وحاول أن يلكم (أدهم) بكل قوته ، إلا أن هذا الأخير أزاح رأسه جانبًا فى يسر ، دون أن يحرّك قدميه ، وتفادى اللكمة قائلاً :

ـ آه .. أنت من الطراز الذى لا يتعلّم أبدًا .

ثم كال للرجل لكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

ـ والذى يحتاج إلى دروس قاسية لإقناعه .

سقط الرجل فى عنف ، وتدحرج بضع مرات ، قبل أن يستقر فاقد الوعى ، إلى جوار زميليه ، فابتسم (أدهم) ، ونفض كفيه ، مغمغمًا فى سخرية :

ـ والآن .. هل استوعبت الدرس ؟

أتاه صوت صارم غاضب ، يقول :

ـ ليس بعد يا سيّد (أدهم) .

استدار (أدهم) بسرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى (دار) يقف عند مدخل المصعد ، مصوّبًا إليه نظرة نارية ..

ومدفعًا ..

مدفعًا آليًا قائلاً :

★ ★ ★

لو أن ذلك المشهد جزء من فيلم سينمائى ، لبدا للمشاهدين وكأن شريط الفيلم قد توقّف بغتة عن الدوران ، وظلّ يعرض مشهدًا ثابتًا لعشر ثوان أو يزيد ..

فطوال هذه الفترة ، لم تصدر عن (أدهم) أو خصمه أدنى حركة ، وكل منهما يتطلّع إلى عينى الآخر فى صمت وتحدّ ..

ثم قطع (أدهم) ذلك الصمت بغتة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ رائع .. أهنئك يا (دار) .. هذا يثبت أنك ما زلت تفهم أعمال المخابرات .

سأله (دار) فى صرامة :

ـ أين أخفيت (يائيل) ؟

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول ساخرًا :

ـ حاول أن تخمّن .

أجابه (دار) فى عصبية :

ـ الأمر لا يحتاج إلى العبقرية يا رجل .. إنه هنا فى مكان ما .

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ فيم سؤالك إذن ؟

لوّح (دار) بمدفعه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ محاولة لاختصار الوقت فحسب أيها المصرى ، فرجالنا يحاصرون المكان كله ، ويفتشون كل شقة فيه ، وسيعثرون عليه حتمًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هذا لو أنه هنا .

قال (دار) فى حدة :

ـ لا تحاول خداعى بهذا الأسلوب الساذج يا رجل .. كلنا رأينا (يائيل) ، وهو يركب السيارة معك ، وتنطلق أنت بها هاربًا من السفارة ، و ...

قاطعه (أدهم) بسرعة :

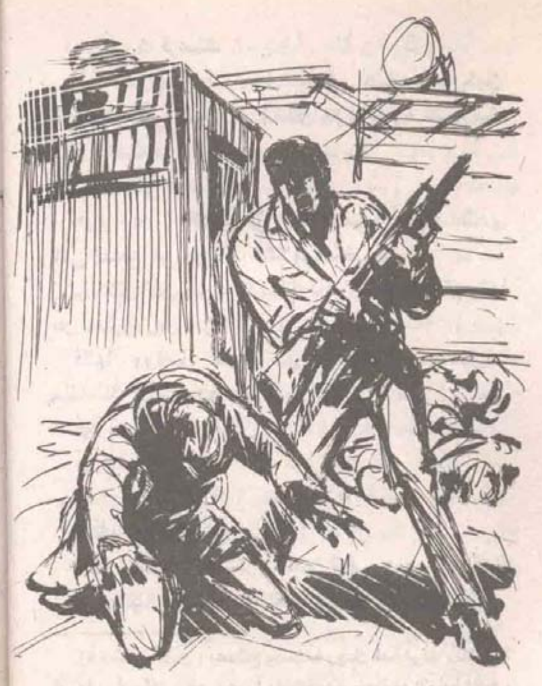
ـ أأنت واثق من أنكم رأيتموه ؟
أجابه (دار) :
ـ لا داعى لهذه الأساليب السخيفة . صحيح أنك تسببت فى قطع التيار الكهربى عن المنطقة ، ولكننا سمعنا جميعًا (يائيل) ، وهو يقول :
ـ قاطعه (أدهم) مرة أخرى ، مكملاً :
ـ أسرع يا رجل .. أسرع بالله عليك .
نطقها بالعبرية ، وبصوت يستحيل تمييزه عن صوت (يائيل) ، فاتسعت عين (دار) فى ذهول ، وهو يهتف :
ـ مستحيل !.. لقد خدعتنا .
استغرق ذهوله لحظة واحدة ..
ولكنها كانت تكفى (أدهم) ..
بل كانت كل ما يحتاج إليه ..
ففى تلك اللحظة ، وثب (أدهم) إلى الأمام ، وقبض على معصم (شيمون دار) ، وأجبره على إدارة فوهة مدفعه بعيدًا ، وهو يقول :
ـ إنك ترتكب الخطأ نفسه ، الذى ارتكبه أقرانك يا (دار) .
ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :
ـ تحدثت أكثر مما ينبغى .
وأعقبها بأخرى ساحقة فى أنفه ، متابعًا :

ـ وخسرت فرصتك .
تأوه (دار) فى ألم ، وتراجع فى عنف ، فى حين بقى مدفعه فى يد (أدهم) الذى هوى بكعبه على فك (دار) ، مضيفًا فى حسم :
ـ ومنحتنى فرصتى .
هوى (دار) فاقد الوعى ، عند قدمى (أدهم) ، الذى ألقى المدفع إلى جواره ، قائلاً فى سخرية :
ـ أعتقد أنك خسرت هذه الجولة يا (دار) .. خسرتها عن جدارة .
قالها ، وواصل قفزه ، من سطح إلى آخر ، تاركًا خلفه ذلك السؤال الغامض ..
أين ذهب (يائيل) إذن ؟..
أين ؟!..

★ ★ ★

« أحد منازلنا الآمنة .. »(*)
نطق الملحق العسكرى العبارة فى هدوء ، إجابة لسؤال (نينا) التى فركت كفيها فى عصبية ، قائلة :

(*) المنزل الآمن : مصطلح يستخدمه رجال المخابرات ، للإشارة إلى منزل أو مكان ، غير معروف لخصومهم ، يمكنهم الاجتماع فيه ، أو مقابلة العملاء ، دون الخوف من المراقبة أو التتبع .



تأوه (دار) فى ألم ، وتراجع فى عنف ، فى حين بقى مدفعه فى يد (أدهم) الذى هوى بكعبه على فك (دار) ..

ـ لست أدرى ما الذى يعنيه المصطلح ، ولكن يبدو أنه يعنى أن أحدًا منهم لن ينجح فى التوصل إلى مكاننا هنا .
غمغم (يائيل) :
ـ بالضبط .
وتنهد فى عمق ، قبل أن يضيف :
ـ الواقع أننى لم أكن أتصور أن ننجح فى الوصول إليه ، ولا فى أن نغادر مبنى السفارة أحياء .
ابتسم الملحق العسكرى ، وهو يقول :
ـ الفضل لله (سبحانه وتعالى) ، ولبراعة سيادة العقيد (أدهم) ، فمع انقطاع التيار ، واندفاعه من المبنى إلى السيارة ، مع أحد رجال الأمن ، وهو يقلد صوتك ببراعة منقطعة النظير ، بالإضافة إلى ما أحدثه من جلبة وتوتر ، بمبادرته غير المتوقعة ، كان من الطبيعى أن يرتبك الجميع ، وأن يندفعوا إلى البوابة الأمامية للسفارة ، وبعدها إلى مطاردة السيارة ، مما منحنا فرصة مثالية للفرار من المخرج الخلفى ، والوصول إلى هنا .
قالت (نينا) مبهورة :
ـ لهذا تعمد أن يروه فى وضوح ، عندما وصل إلى السفارة !
هز الملحق العسكرى كتفيه ، وهو يقول :

ـ إنه جزء من الخطة .
عقد (يائيل) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :
ـ كان ينبغى أن نستغل الموقف ، ونتجه مباشرة إلى المطار ، أو إلى الحدود .
أجابه الملحق العسكرى :
ـ مستحيل !.. صحيح أننا نجحنا فى مغادرة السفارة ، والانتقال إلى بقعة لا يعرفها أحد ، ولكن الإسرائيليين ما زالوا يسيطرون على الحدود والمطار ، والاندفاع إلى أيهما كان كفيلا بإفساد الأمر كله .
قال (يائيل) فى توتر :
ـ إذن فكل ما حدث هو أننا انتقلنا من سجن إلى سجن فقط .
أجابه الملحق العسكرى فى صرامة :
ـ خطأ يا رجل .. لقد انتقلنا من مكان يعرفه قومك ، إلى آخر يجهلونه ، وهذا إنجاز عظيم بالنسبة للموقف ، حتى هذه اللحظة .
قال (يائيل) فى حنق :
ـ من الواضح إذن أنك لا تعرف قومى جيدًا .. إنهم سيدركون الخدعة فى سرعة ، وربما ألقوا القبض على (أدهم) هذا ، أو على رجل الأمن الذى صحبه فى خدعته ، وسيحصلون على ما يبتغون حتمًا .

ابتسم الملحق العسكرى ، وهو يقول :
ـ بل من الواضح أنك أنت الذى يجهل قومى يا رجل .. عباقرة (الموساد) هؤلاء لن يمكنهم أبدًا العثور على رجل الأمن ؛ وهذا لأنهم يبحثون عنك وعن (أدهم) ، وليس عنه ، أما بالنسبة لـ (أدهم) ، فأنت تعلم مثلى أن وقوعه فى قبضتهم أمر شبه مستحيل .
ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :
ـ إنه محترف يا رجل .. محترف حقيقى .
لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث صوت يقول :
ـ أأنت واثق من هذا ؟
والتفت الجميع فى سرعة إلى مصدر الصوت ..
وكانت مفاجأة ..
مفاجأة مدهشة .

★ ★ ★



٥ ـ المحترفون ..

(كراكس) .. الحادى عشر من يوليو ..
منتصف الليل ..
انعقد حاجبا المفتش (باردو) فى غضب شديد ، وهو يشعل سيجارته فى عصبية ، ويقول محتدًا :
ـ ماذا حدث بالضبط ؟!.. كيف تتحوَّل شوارعنا إلى ساحات قتال ، فتنطلق فيها الرصاصات ، ويتم تفتيش المنازل الآمنة ، ويدور القتال على الأسطح ، وكأنه لم يعد هناك وجود للأمن أو أنظمة الشرطة فى البلاد ؟!.. كيف ؟!
بدا الغضب فى صوت (دار) ، وهو يقول :
ـ ربما ليس لها وجود بالفعل يا رجل .
التفت إليه المفتش ، قائلاً فى غضب :
ـ حقًا ؟!.. كيف تفسِّر إذن وجود تلك الأغلال ، التى أحطنا بها معصميك ، بعد أن عثرنا عليك أنت ورجالك فاقدى الوعى ، فوق أحد الأسطح ؟!
أجابه (دار) فى حدة :

خطأ غبى ، سيتم تصحيحه بسرعة .
جذبه (باردو) من سترته ، وتطلَّع إلى عينه الواحدة السليمة ، وهو يقول فى صرامة :
ـ ربما .. أنك تغرينى بإصلاحه بنفسى ، بضربة مباشرة فى عينك الأخرى .
اشتعلت نيران الغضب فى ملامح (دار) وصوته ، وهو يقول :
ـ الرجل الذى فقأ تلك العين ، سيلقى أسوأ مصير يمكن أن يراوده ، فى أبشع كوابيسه ، أما أنت ..
قاطعه (باردو) فى حدة :
ـ أما أنا فماذا أيها الوقح ؟!.. هل تتصوَّر أنك ما زلت تستطيع التحدُّث بكل صفاقة ، فى الوقت الذى ...
« .. (باردو) .. »
قاطعته تلك الصيحة الهادرة ، التى نطقت اسمه بصرامة شديدة ، فالتقى حاجباه فى توتر ، وهو يلتفت إلى مصدرها ، ووقع بصره على وجه كبير المفتشين (بوناسيو) ، الذى يندفع نحوه ، ويشير إلى (شيمون دار) ، مستطردًا :
ـ أطلق سراح هذا الرجل .
ارتفع حاجبا المفتش (باردو) فى دهشة ، وهتف مستنكرًا :

ـ أطلق سراحه ؟!.. كيف ؟.. إنه ...

صاح كبير المفتشين فى ثورة :

ـ هذا أمر ؟

مطّ (باردو) شفتيه فى غضب ، وهو يحلّ الأغلال عن معصمى (دار) ، الذى ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك ؟

انتزع (باردو) الأغلال فى حنق ، وهو يقول :

ـ لم ينته الأمر بعد ، والحكمة تقول : من يضحك أخيرًا ..

قاطعه (دار) :

ـ هذا لو وجد الفرصة ليضحك .

رمقه المفتش (باردو) بنظرة نارية ، ثم أشاح بوجهه عنه ، وكبير المفتشين يستطرد فى عصبية :

ـ وأطلق سراح رجاله أيضًا .

مسح (دار) معصميه ، وهو يتجه نحو كبير المفتشين ، وقال فى حدة غاضبة :

ـ لماذا تأخرت ؟

تلفّت (بوناسيو) حوله فى توتر ، وهو يجيب :

ـ لقد حضرت فور أن أبلغونى بالأمر ، وحاول أن تخفض صوتك ، فأنت تعرّضنى لحرج بالغ .. المفروض أننى كبير المفتشين هنا .

أجابه (دار) فى عصبية :

ـ ربما ، ولكنك تتقاضى منا أضعاف أضعاف ما تتقاضاه من عملك ، والمفروض أن نحصل على مقابل لهذا .

قال (بوناسيو) فى حدة :

ـ وأى مقابل أفضل مما تحصلون عليه بالفعل ؟!.. لقد جندت كل أفرع الشرطة لخدمتكم هذه المرة ، وحتى حرس الحدود والسواحل ، ولا يمكن لرجلكم أن يغادر البلاد سالمًا ، حتى ولو تنكّر فى هيئة ذبابة ، وهأنذا أطلق سراحك وسراح رجالك ، بعد أن حوّلتم شوارعنا لساحة قتال ، واستبحتم كل شبر فيها .. ما الذى تريدونه بعد كل هذا ؟

أجابه (دار) فى صرامة :

ـ الكثير .. لقد نجح الرجل فى الفرار من مبنى السفارة المصرية بالفعل ، بفضل خطة متقنة ، نفّذها واحد من ألدّ وأقوى خصومنا ، وهذا يزيد الموقف تعقيدًا ، ويجعله أكثر ...

قاطعه أزيز خافت ، قبل أن يتمّ عبارته ، فاختطف جهاز اللاسلكى من حزامه ، وقال فى لهفة ، وباللغة العبرية ، التى يجهلها كبير المفتشين :

ـ هنا (دار) .. ماذا حدث ؟

ولم يكد يسمع ذلك الحديث ، الذى نقله إليه اللاسلكى ، بنفس اللغة العبرية ، حتى تألّقت عيناه ، وهتف :

ـ رائع .. نحن فى طريقنا إليك على الفور .

وأعاد جهاز اللاسلكى إلى حزامه ، وهو يقول لكبير المفتشين فى انفعال :

ـ يبدو أننا سنحتاج إلى معاونة عاجلة منك يا (بوناسيو) .. معاونة ستحتم عليك أن تحشد أقوى رجالك ، حتى نربح هذه الجولة من الضربة الأولى ، فالدلائل تشير إلى أنها ستكون جولة حاسمة .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـ وأخيرة ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الملحق العسكرى ، وهو يحدّق فى وجه ذلك القادم الجديد ، وشهقت (نينا) ، وهى ترتدّ فى عنف ، فى حين انتفض قلب (يائيل) بين ضلوعه ، وهو يهتف فى دهشة هلعة :

ـ (جولهى) ؟!

أجابه الرجل فى صرامة ، وهو يصوّب مسدسه الآلى إلى الجميع :

ـ بالضبط يا (يائيل) .. (لون جولهى) .. زميلك السابق فى فرقة الاغتيالات ..

طريف منك أن تذكّرتنى ، على الرغم من مرور عدة أعوام ، على آخر لقاء لنا .

شحب وجه (يائيل) ، وهو يسأله :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

أطلق (جولهى) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ يبدو أن كل شخص هنا يتصوّر أنه المحترف الوحيد فى اللعبة .. إننى أعترف بأن رجلكم (أدهم صبرى) قد أدى دوره بمهارة مدهشة كالمعتاد ، ونجح فى تشتيت الانتباه ، ودفع الجميع إلى واجهة السفارة .

وبرقت عيناه ، وهو يشير إلى صدره ، مستطردًا :

ـ الجميع فيما عداى .. أنا وحدى انتبهت إلى الخدعة ، وكمنت فى نقطة خفية ، حتى رأيت سيارة تغادر الباب الخلفى ، وتبتعد عن السفارة فى حذر .. وعلى الرغم من أننى لم أتبين وجوه ركابها ، من خلف زجاج نوافذها الداكن ، إلا أننى تبعتها بوحى من غريزتى ، التى اكتسبتها من طول عملى فى فرقة الاغتيالات ، ولم أسمح لها بخداعى ، أو الإفلات منى ، على الرغم من المناورات العديدة ، التى قامت بها ، حتى وصلت إلى هنا .

واستعاد ابتسامته الساخرة ، مضيفًا :

ـ والباقى لم يعد صعبًا .. مجرّد تسلّل عبر النوافذ الخلفية .

شعر الملحق العسكرى بالضيق ، لما يعنيه وجود (جولهى) ، من فشله فى تهريب (يائيل) ، و (نينا) ، وبكت الأخيرة فى ارتياع ، موقنة من أن نهايتها صارت قاب قوسين أو أدنى ، فى حين قال (يائيل) فى عصبية :

ـ ماذا تنوى أن تفعل يا (جولهى) ؟

أجابه (جولهى) فى سخرية :

ـ يا له من سؤال يا صديقى القديم !

ثم جذب مشط مسدسه ، وتركه يرتد فى قوة ، مستطردًا :

ـ سأنفذ الأوامر بالطبع .

هتف (يائيل) :

ـ ولكنهم حاولوا قتلى يا (جولهى) .. حاولوا قتلى لمجرّد أننى طلبت الاعتزال .. نفس ما سيفعلونه بك ، إذا ما تقدّمت يومًا بالطلب نفسه .

أجابه (جولهى) فى صرامة :

ـ كاذب .. كلنا نعلم أنك خنت الوطن .. هذا ما أخبرونا به .

صاح (يائيل) :

ـ إنهم كاذبون .. يحاولون تبرير فعلتهم القذرة فحسب .

هتف (جولهى) :

ـ ليس هذا من شأنى .

ثم انتزع جهاز اللاسلكى من حزامه ، وضغط زر الاتصال فيه ، وانتظر حتى سمع صوتًا يقول بالعبرية :

ـ هنا (دار) .. ماذا حدث ؟

أجابه بنفس اللغة :

ـ أنا (جولهى) .. لقد عثرت على (يائيل) ، وأنا أسيطر على الموقف .. إليك العنوان ..

ولم يكد ينهى إليه بالعنوان ، حتى ارتفع صوته ، عبر جهاز اللاسلكى ، وهو يهتف :

ـ رائع .. نحن فى طريقنا إليك على الفور .

أنهى (جولهى) الاتصال ، وأعاد جهاز اللاسلكى إلى حزامه ، وهو يقول :

ـ يا للخسارة !.. كنت أتمنى لو أمرنى بقتلكم على الفور ، دون إبطاء .

بكت (نينا) فى حرارة ، وهى تقول :

ـ إنها النهاية .. كنت أعلم أنها النهاية .

تحرّكت يد الملحق العسكرى فى حذر ، فى محاولة لالتقاط مسدسه ، إلا أن (جولهى) استدار إليه فى سرعة ، وهتف صارمًا :

ـ إياك أن تحاول .. إياك حتى أن تفكّر فى هذا .. هيا .. التقط مسدسك ، والقه أرضًا ، مستخدمًا سبّابتك وإبهامك فحسب .

بدا لحظة ، وكأن الملحق العسكرى سيطيع الأمر ، ولكن فجأة ، توقّفت (نينا) عن البكاء ، واشرأب (يائيل) بعنقه ، وتألّقت عينا الملحق العسكرى ، مما جعل (جولهى) يستدير خلفه فى سرعة ، وانتفض جسده كله فى عنف ، عندما قبضت أصابع فولاذية على معصمه ، وأبعدت مسدسه ، فى حين ارتطمت عيناه بنظرة صارمة ، تجمّدت لها الدماء فى عروقه ، مع ذلك الصوت القوى الساخر ، الذى يقول :

ـ يؤسفنى أن أفسد خطتك .

ضغط (جولهى) زناد مسدسه بحركة غريزية ، فانطلقت منه رصاصة اخترقت الجدار ، قبل أن يلوى (أدهم) معصمه بحركة قوية سريعة ، مستطردًا :

ـ خطأ .. إطلاق النار هنا يستلزم تصريحًا خاصًا .

ثم هوى على فك الرجل بلكمة ساحقة ، هشّمت أنفه تمامًا ، وهو يضيف :

ـ وها هوذا .

غامت الدنيا أمام عينى (جولهى) ، وترنّح فى عنف ، وحاول أن يتمالك توازنه ، إلا أن لكمة ثانية من (أدهم) أسقطته فاقد الوعى ، فاندفع (يائيل) يختطف مسدسه ، ويصوّبه إليه صائحًا :

ـ أيها الوغد الحقير .

كان يهمّ باعتصار زناد المسدس بالفعل ، ونسف رأس (جولهى) الفاقد الوعى ، ولكن (أدهم) ركل المسدس من يده ، وهو يقول غاضبًا :

ـ هل جننت يا رجل ؟!.. أتطلق النار على رجل فاقد الوعى ؟

صاح (يائيل) غاضبًا :

ـ إنه يستحق هذا .

هتف به (أدهم) :

ـ اصمت .

كانت الصيحة صارمة ، حتى أنها ألجمت لسان (يائيل) ، فتراجع فى توتر ، وأفسح المجال لـ (أدهم) ، وهو يستطرد :

ـ وجود هذا الرجل هنا يعنى أن المنزل لم يعد آمنًا كما يُفترض ، ومعنى هذا أننا سننتقل مباشرة إلى الخطة الاحتياطية ..

ثم أخرج من جيبه خريطة ، فردها فوق المائدة ، قائلاً فى حزم :

ـ الإسرائيليون يتوقعون مطاردة رجل وامرأة ، بصحبة أحد رجال المخابرات المصرية ، إذن فالخطوة الأولى فى خطتنا الاحتياطية هى أن نفسد توقُّعهم هذا .. سننقسم إلى فريقين .. فريق يتكوَّن من (نينا) والملحق العسكرى ، وسيتجه شرقًا ، ويستقل زورقًا بخاريًّا إلى جزيرة (ترنداد) ، حيث ينتظرهما هناك أحد رجالنا ، بجواز سفر دبلوماسى لـ (نينا) ، ويخت أنيق ، سيحملها إلى (فورتاليزا) فى (البرازيل) ، وهناك ستجد فريقًا من رجالنا ، يتولى نقلها إلى (القاهرة) .. أما الفريق الثانى ، فسيتكوَّن من (يائيل) وأنا .

قالت (نينا) فى عناد :

ـ لن أفترق عن (يائيل) أبدًا .

أجابها (أدهم) فى صرامة :

ـ لا مجال هنا للمناقشة .. الوقت والظروف لا يسمحان بهذا .

وربَّت (يائيل) على كتفها ، قائلاً فى أسف :

ـ إنه على حق يا (نينا) .. لن ننجو أبدًا ، إلا لو افترقنا .

ترقرقت فى عينيها الدموع ، وتطلَّعت إلى عينى (يائيل) ، مغمغمة :

ـ سيكون ذلك شاقًّا .

غمغم فى حنان :

ـ ولكن لا مفرَّ منه .

كان الموقف عاطفيًّا للغاية ، أعاد إلى ذهن (أدهم) ذكرى مغامراته السابقة مع (منى) ، فاختلج قلبه بين ضلوعه ، وشعر بغصة فى حلقه ، جعلت صوته يتحشرج ، وهو يتصنَّع الصرامة ، قائلاً :

ـ يؤسفنى أن أقاطعكما ، ولكن الوقت أضيق من أن نضيعه فى مواقف عاطفية كهذه .. لقد رأيت كيف يتعامل الإسرائيليون هنا ، وهذا يؤكد أنهم على علاقة وثيقة بالسلطات الفنزويلية ، وأنهم سيصلون إلى هنا خلال سبع دقائق على الأكثر ..

ثم أدار عينيه إلى الملحق العسكرى ، مستطردًا :

ـ انتقل أولاً إلى المنزل الآمن رقم اثنين ، ثم ابدأ تنفيذ خط السير فى الواحدة والنصف صباحًا بالضبط .

وأمسك يد (يائيل) ، قائلاً :

ـ هيا بنا .

تحرك الفريقان فى لهفة ، ثم هتفت (نينا) فى لوعة :

ـ (يائيل) .

التفت إليها الإسرائيلى بنظرة حانية ، فاستطردت باكية :

ـ عدنى أن تبذل قصارى جهدك ، للمحافظة على حياتك .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ أعدك .

ثم أشاح بوجهه ليخفى دموعه ، مستطردًا :

ـ هيا يا سيِّد (أدهم) .. هيا بنا .

كان الألم يشتعل فى مواضع إصاباته ، فى فخذه وكتفه ، إلا أن هذا لم يمنعه من السير إلى جوار (أدهم) بأقصى سرعته ، وهذا الأخير يقول :

ـ إننا لم ننتخب هذا المنزل عبثًا ، فهناك ممر فى الطابق الثانى ، يربط المبنى كله بالمبنى المجاور ، مما يمنحنا فرصة الفرار ، إذا ما حاصروا المنزل .

كانا ينطلقان عبر ممر الربط ، عندما ارتفعت أبواق سيارات الشرطة ، وهى تتوقَّف عند مدخل البناية ، وتعالى وقع أقدام الرجال ، عبر درجات سلمها ، فقال (يائيل) متوترًا :

ـ لقد وصلوا بأسرع مما كنت أتوقَّع .

ألقى (أدهم) نظرة على ساعته ، وهو يقول :

ـ بل خلال سبع دقائق بالتحديد .

بلغا البناية المجاورة خلال ربع دقيقة فحسب ، وهبطا فى درجات سلمها إلى الطابق الأرضى ، وهناك قال (يائيل) متوترًا :

ـ والآن ماذا ينبغى أن نفعل .. هل نجرى مبتعدين ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ بل نحصل على وسيلة مواصلات مناسبة .

سأله (يائيل) فى قلق شديد :

ـ كيف ؟

لم يجب (أدهم) على الفور ، وإنما ألقى نظرة حذرة على جانبى الشارع أولاً ، قبل أن يجذبه من يده ، ويغادران المبنى ، وهو يقول :

ـ اترك كل شىء لوقته .

قالها ، وهو يتجه معه إلى سيارة رياضية صغيرة ، تقف أمام بوابة المبنى مباشرة ، وفتح بابها ، مستطردًا :

ـ أسرع يا رجل .

قفز (يائيل) داخل السيارة ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أهى سيارتك ؟

أجابه (أدهم) فى بساطة :

ـ لقد تركتها هنا احتياطيًّا ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفعت صيحة تهتف :

ـ إنهما هنا .

أدار (أدهم) عينيه فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على عدد من رجال الشرطة يندفعون نحو السيارة ، من أول الطريق ، وعلى رأسهم (شيمون دار) بعينه الواحدة ، والعصابة التى تخفى عينه الثانية ، فوثب داخل السيارة ، وأدار محركها ، هاتفًا :

- يبدو أن قومك أكثر ذكاء مما كنت أتصور يا رجل .

وضغط دواسة الوقود بكل قوته ..

وانطلقت السيارة ..

ومن خلفها ، انطلقت رصاصات (دار) ورجال الشرطة ، وسمع (يائيل) صوتها ، وهى ترتطم بجسم السيارة ، وزجاجها الخلفى ، فهتف وهو ينحنى فى مقعده :

- لم تنجح خطتك يا رجل .

ولم يعلق (أدهم) ..

لقد كان ينطلق بأقصى سرعته نحو مخرج الشارع ، عندما اندفعت واحدة من سيارات الشرطة بغتة ، لتقطع الطريق ، وتتوقف بعرضه ، ووثب منها أربعة رجال ، راحوا يطلقون النار على السيارة بدورهم ..

السيارة التى وقعت بين شقى الرحى ..

أو بين المطرقة والسندان ، ولم يعد لها أمل فى الفرار ..

أدنى أمل .

* * *

٦ - المطاردة ..

لهثت (نينا) بمزيج من التوتر والانفعال ، وهى تصعد فى درجات السلم قفزًا ، إلى جوار الملحق العسكرى ، فى البناية نفسها ، وسألته فى توتر شديد :

- إلى أين نذهب ؟.. أليس من المفروض أن نتجه إلى المنزل الآمن رقم اثنين ؟

أجابها ، وهو يتجه نحو شقة فى الطابق الأخير :

- وهذا ما نفعله بالضبط .

ارتفع حاجباها فى دهشة عارمة ، وهو يطرق الباب ، وهتفت :

- أهذا هو ؟!

فتح رجل نحيل أشيب الشعر باب الشقة ، وبدا وكأنه ينتظرهما بالتحديد ، وهو يشير إليهما ، قائلاً :

- ادخلا بسرعة .

جذبها الملحق العسكرى من يدها إلى داخل الشقة ، وهو يقول للرجل :

- هل أعددت كل شىء ؟

أجابه الرجل فى حزم :

- كل شىء على ما يرام .

التفت الملحق إلى مقعد متحرك ، جلست فوقه عجوز متهالكة ، ذات شعر أشيب طويل ، وثوب بسيط ، ومنظار طبى سميك ، وسأل الرجل :

- وكيف حال سنيورا (كاجينى) ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، لا تتناسب مع الموقف ، وهو يجيب :

- ما زالت تنتظر اللحظة المناسبة ، لتحصل على شىء من الأهمية .

ثم اتجه نحو العجوز ، التى لم تبدر عنها حركة واحدة ، منذ وصول (نينا) والملحق العسكرى ، وانتزعها من المقعد المتحرك فى قسوة عجيبة ، شهقت لها (نينا) فى هلع ، وصرخت عندما اتجه بها الرجل نحوها :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. إنك ستقتلها !

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

- لا يمكنك قتل شىء لا حياة فيه يا سينورينا .

انتبهت (نينا) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن تلك العجوز ليست سوى دمية مطاطية ، انتزع عنها الرجل الشعر الأشيب المستعار ، والمنظار الطبى السميك ، والثوب البسيط ، والملحق العسكرى يقول :

- هذا هو خط دفاعنا الثانى ، فالسنيور (كاجينى) يعمل لحساب المخابرات المصرية منذ زمن ، وكل الجيران هنا يعلمون أنه يرعى زوجته العجوز سنيورا (كاجينى) ، ويقيم معها ومع ولده (ألبرانو) منذ عام كامل ، ولكن أحدهم لم يتبادل تحية واحدة من السنيورا العجوز ، التى تجلس بمقعدها المتحرك فى الشرفة ، فى الأيام الدافئة ، وتختفى داخل المنزل فى الأيام والليالى الباردة ، أما ابنهما (ألبرانو) ، فبعد إضافة شارب كث ، وشعر مستعار ضخم ، أصبح نسخة طبق الأصل منه .

أشارت إلى ثياب الدمية ، التى طواها الرجل فى عناية ، ودسها فى أحد الأدراج ، وهى تقول :

- هل تعنى أننى ..

قاطعها الملحق العسكرى فى حسم :

- نعم يا سيدتى .. سترتدين ثياب سنيورا (كاجينى) ، وتجلسين صامتة على مقعدها المتحرك ، بشعرها الأشيب ، ومنظارها الطبى السميك ، حتى ينتهى التفتيش ، وبعدها نبدأ رحلتنا ، طبقًا للخطة الاحتياطية .

هتفت مبهورة ، وهى تلتقط ثياب الدمية :

- يا للبراعة !.. ترى هل سيحظى (يائيل) بخطة مماثلة ؟

هزّ الملحق العسكرى كتفيه ، وهو يقول :
ـ لا يمكننى إجابة سؤالك فى الواقع يا سيّدتى ، ففى عالمنا لا ينبغى أن يعرف المرء أكثر مما يحتاج إليه .
ثم شرد ببصره ، مستطردًا :
ـ ولكن الشىء الذى ينبغى أن نثق به ثقة مطلقة ، هو أنه فى يد أمينة للغاية ، وتحت رعاية الله (سبحانه وتعالى) ، متمثلة فى واحد من أبرع رجال مخابراتنا على الإطلاق .
وسرت فى جسدها قشعريرة عجيبة ، والملحق العسكرى يضيف فى حزم :
ـ رجل المستحيل .

★ ★ ★

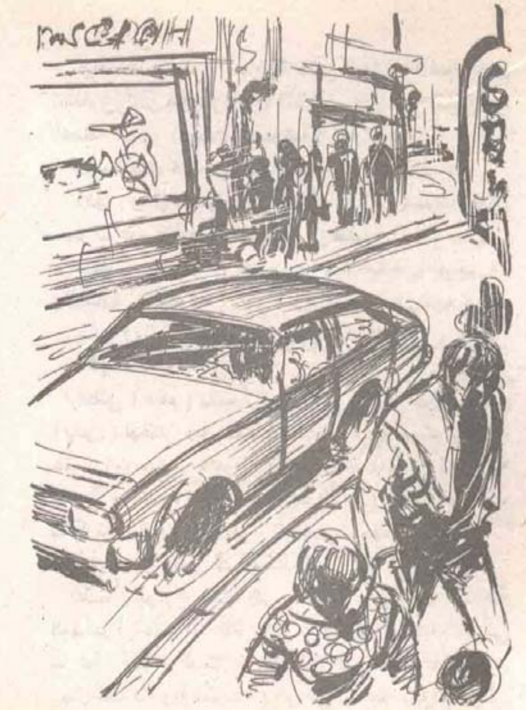
لم يحاول (أدهم) حتى التخفيف من سرعته ، وهو يواصل الانطلاق نحو نهاية الطريق ، على الرغم من سيارة الشرطة التى اعترضت طريقه ، والرصاصات التى تنطلق نحوه من الأمام والخلف ..
كل ما فعله هو أن هتف :
ـ اخفض رأسك يا (يائيل) .
ومال بسيارته إلى أقصى اليسار ، ثم أمال عجلة القيادة بمهارة مدهشة ، فمالت على جانبها الأيسر ،

وارتفع إطاراها الآخران عاليًا ، دون أن يتوقّف اندفاعها ، وانطلقت فوق إطارى اليسار وحدهما ، على نحو اتسعت له عيون رجال الشرطة فى ذهول ، وهتف أحدهم مبهورًا :
ـ رباه !.. نفس ما يحدث فى السينما .
قالها والسيارة تعبر الفراغ الضيق ، بين السيارة وجدار المبنى ، بهذه الزاوية المدهشة ، ثم تميل مرة أخرى إلى اليمين ، وتعود إلى إطاراتها الأربعة ، لتواصل انطلاقها مبتعدة ، والرصاصات تلاحقها فى جنون .
وفى دهشة بلا حدود ، هتف (يائيل) :
ـ كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟!.. كنت أظنه لا يحدث إلا على شاشة السينما وحدها .
أجابه (أدهم) بابتسامة باهتة :
ـ إننى أستخدم الأسلوب نفسه ، الذى يتبعه المخاطرون فى السينما(*) .
ثم انعقد حاجباه ، وهو يتطلّع إلى مرآة السيارة ، مستطردًا :

(*) المخاطرون : فئة خاصة ممن يلعبون دور البديل فى السينما ، يتم تدريبهم على نحو خاص ، بحيث يمكنهم أداء الحركات المعقّدة والبالغة الخطورة ، ويتم اختيارهم فى المعتاد من بين لاعبى الأكروبات ، أو محترفى سباقات السيارات ، أو رجال القوات الخاصة السابقين .

ـ ولكن المطاردة لم تنته بعد .
التفت (يائيل) فى توتر ، وشاهد سيارات الشرطة الثلاث ، التى تطاردهما فى إصرار ، وقال :
ـ إنهم يملكون المدينة كلها ، ولن يمكننا الفرار منهم إلى الأبد .
أجابه (أدهم) فى حزم :
ـ المهم أن نبذل قصارى جهدنا .
قالها ، وانحرف بغتة إلى شارع جانبى ، وزاد من سرعة السيارة إلى الحد الأقصى ، وهو يعبره إلى نهايته ، ثم ينحرف ثانية إلى شارع آخر ، و (يائيل) يقول :
ـ هل تحاول إرباكهم ؟
أجابه (أدهم) فى حسم :
ـ بل أحاول منحك فرصة لمغادرة السيارة ، دون أن يشعروا بهذا .
هتف (يائيل) فى دهشة بالغة :
ـ مغادرة السيارة ؟!
أجابه وهو ينحرف بسرعة مخيفة فى شارع آخر :
ـ بالتأكيد .. لن أمنحهم أدنى فرصة لاستعادتك .
حدّق فيه (يائيل) لحظة فى دهشة ، قبل أن يقول :
ـ هل تفعل كل هذا من أجلى ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، لم تستغرق أكثر من جزء من الثانية ، قبل أن تختفى فى أعماقه ، وهو يجيب فى صرامة :
ـ إنما أفعل هذا من أجل (مصر) .
قالها ، ومال بالسيارة إلى شارع آخر ، وصوت أبواق سيارات الشرطة يأتى من بعيد ، وهتف :
ـ هيا .. اهبط هنا .. اختبئ بين هذه المتاجر الصغيرة ، ولا تفارق مكانك قط ، حتى أعود إليك .. هل تفهم ؟
غادر (يائيل) السيارة فى سرعة ، قائلا :
ـ فهمت .
انطلق (أدهم) بالسيارة مرة أخرى ، فى حين تراجع (يائيل) ليختفى بين المتاجر الصغيرة ، ولم يكد يفعل ، حتى برزت سيارات الشرطة الثلاث من الناصية ، وتجاوزته بسرعة مدهشة ، لتواصل مطاردة (أدهم) ، الذى انحرف بسيّارته عائدًا إلى الشارع الرئيسى ، مغمغمًا :
ـ أرجو أن تكون قد فهمت بالفعل أيها الإسرائيلى .
كانت الشوارع هادئة إلى حد ما ، فى تلك الساعة المتأخرة ، مما ساعده على الانطلاق عبرها بأقصى سرعة ، وخلفه السيارات الثلاث ، التى حملت خليطًا من رجال الشرطة و (الموساد) ، وعلى رأسهم (بوناسيو) ، و (شيمون دار) ، والأوّل يهتف عبر جهاز اللاسلكى :



انطلق (أدهم) بالسيارة مرة أخرى ، فى حين تراجع (يائيل) ليختفى بين المتاجر الصغيرة ..

ـ الهـدف ينطلق نحو تقاطع شارعى (سيمـون) و (كاريـه) ، فـى سيارة (بورش) صفراء .. أطلقـوا النار بلا تردُّد .. انسفوه لو اقتضى الأمر .. المهم ألا تسمحوا له بالفرار أبدًا .

رأى (أدهم) سيارتين من سيارات الشرطة تقطعان نهاية الطريق ، ويبرز من إحداهما رجل ضخم الجثة ، يحمل على كتفه مدفعًا صغيرًا ، من تلك المدافع المضادة للدبابات ، ويصوِّبه إليه ، فغمغم ساخرًا :

ـ إلى هذا الحد ؟!.. يبدو أن (الموساد) يدفع بسخاء ، ليشترى ذمم جهاز الشرطة كله ، وإلا مـا وصل بهم الأمر إلى إطلاق مدفع مضاد للدبابات ، وسط طريق عام .

استعاد عقله دفعة واحدة ، ذكريات عملياته السابقة ، إبان عمله فى القوات الخاصة ، قبيل التحاقه بالمخابرات العامة(*) ، ووجد نفسه يهتف فى حماس ، وعيناه ترصدان سبّابة الرجل :

ـ اللّه أكبر .

كانت نفس الصيحة ، التى ردَّدتها آلاف الحناجر دفعة واحدة ، عندما بدأ العبور العظيم ، فى السادس من أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ..

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) ... المغامرة رقم (٣١) .

ذلك العبور الذى مهَّد له مع رفاقه ، من أبطال القوات الخاصة ، وكان أحد أسباب نجاحه ، عندما أحضـر خريطـة أنابيب النابالم مـن قلب (إسرائيل)(*) ، وتمكَّن رفاقه من إفساد فاعليتها ، قبيل العبور بساعات معدودة ..

ومع صيحته ، أطلق الرجل قذيفته المضادة للدبَّابات ..

ودوى الانفجار ..

★ ★ ★

انتفض جسد (يائيل) فى عنف ، مع دوى الانفجـار ، الذى بلغ مسامعه ، وتصبَّب على وجهـه عرق بـارد ، وهو يتمتم :

ـ تُرى ماذا حدث ؟.. هل نسفوه ؟!

كاد الفضول يقتله ، وهو واقف فى مكمنه ، فدفع جسده إلى الأمام قليـلاً ، ليرهف السمع أكثر ، ولكنـه لـم يكد يفعل ، حتى سمع صوتًا صارمًا يهتف :

ـ قف مكانك .

تجمَّد (يائيل) فى موضعه ، وخفق قلبه فـى عنـف ، ورجل الشرطة الفنزويلى يصوِّب إليه مسدسـه فـى تحفُّز مستطردًا :

(*) راجع قصة (خيط اللهب) ... المغامرة رقم (٣٢) .

ـ استدر فى بطء ، وحذار أن تأتى بأى تصرُّف مباغت ، فرصاصتى ستكون الأسرع حتمًا .

استدار إليه (يائيل) فى بطء ، ولـم يكد ضوء مصباح الطريق يغمر وجهـه ، حتـى اتسعت عينـا رجل الشرطة ، وشهق .

ـ إذن فهو أنت .

نطق كل حرف من حـروف عبارتـه بتوتـره الشديد ، وتراجع بضع خطوات ، وهو يصوِّب إليه مسدسه بتحفُّز أكبر ، مستطردًا فى حدة :

ـ رباه !.. إنهم يقلبون المدينة كلها بحثًا عنك ، وأنـت تختبئ هنا .. لقد تصوَّرت أن ذلك الانفجار موجَّه إليك .

ثم انتزع جهاز اللاسلكى من حزامه ، قائلاً :

ـ هنا رقم (٧٠٦) .. لقد عثرت عليه فى شارع (ميلو) .. أريد إمدادات بأقصى سرعة ، قبل أن ..

كان ينحنى قليلاً ، ليتحدَّث عبر الجهـاز ، وشعر (يـائيل) أنها فرصة مناسبة ..

وانقضَّ .

كانت انقضاضته مباغتة بالفعل ، إلا أن رجل الشرطة ضغط زنـاد مسدسه بحركـة غريزيـة ، وهـو يـتراجع هاتفًا :

ـ قلت لك : لا تفعل .

انطلقت الرصاصة ، وشعر بها (يائيل) تحتك بجانبه الأيمن ، وتحرق سترته وقميصه ، وجزءًا من لحمه ، قبل أن يدفع مسدس الشرطى بعيدًا ، ويلكمه بكل قوته ، قائلاً :

ـ لن تفسد الأمر الآن .

اشتبك معه الشرطى فى شجار عنيف ، أثبت أنه أكثر قوة مما كان يتوقّع (يائيل) ، الذى بذل قصارى جهده ليبعد فوهة المسدس عن جسده ، ولكن الشرطى ركله فى معدته بكل قوته ، وهو يهتف :

ـ لن تهزمنى بسهولة .

ثم لكمه فى كتفه المصابة ، مستطردًا :

ـ هناك مكافأة ضخمة لمن يظفر بك .

تأوّه (يائيل) فى ألم ، وتراجع على الرغم منه ، فوثب الشرطى إلى الخلف ، هاتفًا :

ـ وهذه المكافأة واحدة فى الحالتين .

وصوّب مسدسه إليه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ حيًّا أو ميتًا .

وضغط الزناد ..

ودوت الرصاصة ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها رجل الشرطة زناد المدفع المضاد للدبابات ، انحرف (أدهم) بسيارته جانبًا ..

كانت مهارة من نوع نادر ، لا يمكن أن يكتسبها إلا رجل مثله ، بدأ تدريباته فى سنوات عمره الأولى(*) ، وصقلها بخبرات لا حدود لها ، طوال سنوات عمره ، التى اقتربت من الأربعين ..

وبفضل هذه المهارة ، ابتعدت سيّارته عن مسار القذيفة المضادة للدبابات ، فى اللحظة المناسبة بالضبط .

وانطلقت القذيفة تتجاوزه ، وتواصل طريقها إلى سيارات الشرطة المطاردة الثلاث ، فاتسعت عينا (بوناسيو) فى ارتياع ، وصرخ :

ـ اللعنة !.. كيف فعلها ؟!

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ارتطمت القذيفة بسيّارة الشرطة الوسطى ..

ودوى الانفجار ..

كان انفجارًا عنيفًا ، أطاح بالسيارة ، ونسفها نسفًا ، وأجبر السيارتين الأخريين على الانحراف فى عنف ، فقفزت

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) ... المغامرة رقم (٦١) .

إحداهما فوق الإفريز ، وارتطمت بجدار مبنى مجاور ، فى حين مالت الثانية على نحو بشع ، ثم انقلبت على جانبها ، وراحت تزحف لعدة أمتار ، قبل أن تتوقّف عند الجانب الآخر للطريق ..

ولم ينتظر (أدهم) ليرى كل هذا ..

لقد تفادى القذيفة ، وانحرف بسرعة فى أوّل شارع جانبى صادفه ، مستغلاً ذلك الاضطراب العنيف ، الذى سبّبه الانفجار ، ودار بمساره كله ، ليعود أدراجه إلى حيث ترك (يائيل) ..

أما (بوناسيو) ، فقد أصابه هلع عنيف ، وراح يصرخ كالمجنون :

ـ أخرجونى من هنا .. أخرجونى من هذه السيارة اللعينة ، قبل أن تنفجر .

كان رجاله جميعًا مصابين ، من جراء ما حدث ، إلا أنهم مدوا له يد العون ، وانتشلوه من السيارة المقلوبة ، فى نفس اللحظة التى خرج فيها (دار) من السيارة الأخرى ، وهو يسبّ ساخطًا ، ويقول :

ـ يا للشيطان !.. كنت أعلم أن دخول (أدهم صبرى) اللعبة ، سيجعل الأمور كلها تتعقّد فى شدة .

صاح (بوناسيو) :

ـ فليذهب (أدهم صبرى) هذا إلى الجحيم .. بل فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .. إنكم تفسدون مدينتى ، وتضعوننى فى مواقف شديدة الحرج .

انعقد حاجبا (دار) فى صرامة ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما انبعث من جهاز اللاسلكى فى سيارة الشرطة صوت يقول :

ـ هنا رقم (٧٠٦) .. لقد عثرت عليه فى شارع (ميلو) .. أريد إمدادات بأقصى سرعة ، قبل أن ..

وانقطع الإرسال بغتة ، مع دوى رصاصة ، فهتف (دار) فى انفعال :

ـ ماذا تنتظرون ؟.. أسرعوا إلى شارع (ميلو) .

قالها ، وهو يثب داخل سيارة الشرطة ، فلحق به رجاله فيها ، وانطلقوا بها مباشرة ، و (بوناسيو) يصرخ فى غضب واستنكار :

ـ ماذا تفعلون ؟.. إنها سيارتنا ، وليس من حقكم أن تفعلوا بها هذا .

لم يلتفت إليه أحد ، وهم ينطلقون بالسيارة ، فصاح فى حنق :

ـ أنا أستحق هذا .. أنا أستحق هذا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أدهم) ينطلق نحو شارع (ميلو) بأقصى سرعته ،

ولم يكد يبلغه ، حتى وقع بصره على رجل الشرطة ، وهو يصوِّب مسدسه إلى (يائيل) ، فاستلّ مسدسه بسرعة بيسراه ، وأطلق رصاصة كلمح البرق ، فأطاحت بمسدس الشرطى ، الذى تراجع مذعورًا ، وانعقدت الكلمات فى حلقه ، فانقضّ عليه (يائيل) هاتفًا ، وهو يكيل له لكمة قوية :

- أيها الوغد .

سقط الشرطى أرضًا ، فى نفس اللحظة التى أوقف فيها (أدهم) سيارته إلى جوار (يائيل) ، قائلاً :

- أسرع يا رجل .. لابد أن نبتعد بأقصى سرعة .

انحنى (يائيل) يختطف مسدس الشرطى ، وهو يقول فى عصبية :

- ليس قبل أن أقتل هذ الشرطى الحقير .. لقد أصابنى بجرح شديد .

صاح به (أدهم) فى غضب :

- أقسم أن أقتلك لو فعلت .. هل نضبت مشاعرك يا رجل ، فرحت تطلق النار على العزل الفاقدى الوعى ؟!

قفز (يائيل) داخل السيارة ، وهو يقول فى حدة :

- بل أنت المرهف الحس أيها المصرى ، حتى أنه ليدهشنى أن تكتسب هذه السمعة الضخمة ، بكل مشاعرك الرقيقة .

انطلق (أدهم) بالسيارة ، قائلاً فى صرامة :

- مشاعرى الرقيقة هذه لا تمنعنى من كسر عنقك بلا تردُّد ، لو اقتضى الأمر ، ولكن كرامتى لا تسمح لى بقتل العزل ، حتى ولو كانوا فى كامل وعيهم .

مطّ (يائيل) شفتيه ، قائلاً فى استنكار :

- كيف يفكر محترف ، بهذا الأسلوب السخيف ؟

همّ (أدهم) بقول شىء ما ، لولا أن ظهرت سيارة (دار) فجأة ، فى مواجهة سيارته ، وهتف (دار) داخلها فى انفعال :

- ها هوذا .. أطلقوا النار .. انسفوهما بلا رحمة .

انتزع (أدهم) مسدسه فى سرعة ، ولكن الرصاصات انهمرت عليه كالمطر ، قبل أن يطلق منه رصاصة واحدة ، وأصابت إحداها المسدس ، فأطاحت به بعيدًا ، فى حين اخترقت الرصاصات الأخرى جسم السيارة وزجاجها الأمامى ، وكاد بعضها يستقر فى جسده ، لولا أن مال فى سرعة ، فاخترقت الرصاصات مقعده فحسب ..

وبحركة سريعة ، دار (أدهم) بالسيارة ، هاتفًا :

- فقدنا المسدس أيضًا .. يا للروعة !.. هذا يجعل المطاردة أكثر إثارة .

دفع (يائيل) نصف جسده خارج نافذة السيارة ، وهو يصيح :

- دعنا نحوِّلها إلى جحيم بالنسبة لهم .

قالها ، وأطلق رصاصات مسدسه فى غضب ، فأصاب أحد رجال (الموساد) فى مقتل ، وهشّم زجاج السيارة الأمامى ، قبل أن تنفد رصاصاته ، فقال (أدهم) فى سخرية :

- هذا عيب أولئك الذين يطلقون العنان لمشاعرهم .. لقد خسرت رصاصاتك كلها دون تدبير ، وأرجو أن تكون لديك خزانة إضافية .

كان ينطلق بأقصى سرعته ، للابتعاد عن رجال (الموساد) ، الذين عادوا يغمرونه برصاصاتهم ، فانكمش (يائيل) فى مقعده ، وهو يقول :

- كلاّ للأسف ، لست أحمل سوى رصاصة واحدة ، من رصاصات بندقيتى .. أحتفظ بها لجلب الحظ السعيد .

انحرف (أدهم) فى شارع جانبى ، وهو يقول ساخرًا :

- وهل جلبته لك ، أم ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى نهاية الطريق ..

لقد أخطأ باختياره هذا الشارع الجانبى بالتحديد ..

فنهايته مسدودة بجدار ضخم ..

مسدودة تمامًا .

* * *

٧ - المصيدة ..

(كراكس) .. الثانى عشر من يوليو ..

الواحدة والنصف صباحًا ..

ارتفع بوق سيارة الإسعاف ، وهى تشقّ طريقها عبر شوارع (كراكس) ، قبل أن تتوقّف أمام البناية ، التى يقيم فيها سنيور (كاجينى) ، الذى وقف أمام شقته يبكى ويولول ، ويهتف :

- وازوجتى المسكينة .. لقد أصابتها النوبة ، وتحتاج إلى إسعاف عاجل .

تطلّع إليه جيرانه فى إشفاق وتعاطف ، وابنه (ألبرانو) يربّت على كتفيه مهدئًا ، وهو يقول باكيًا :

- اطمئن يا أبى .. اطمئن .. لقد وصلت سيارة الإسعاف ، وسيتم نقلها إلى المستشفى على الفور .

حمل المصعد رجلا الإسعاف إلى المكان فى تلك اللحظات ، فصاح بهما (كاجينى) :

- أسرعا .. أسرعا .. إنها تعانى كثيرًا .

اختفى رجلا الإسعاف داخل الشقة بضع دقائق ، ثم برزا وهما يحملان محفة ، رقدت عليها سنيورا (كاجينى) بشعرها الأشيب ، ومنظارها الطبى السميك ، وهي تتأوّه فى ضعف ، واندفع خلفها ابنها (ألبرانو) ، هاتفًا :

ـ ابق أنت هنا يا أبى .. سأصحبها إلى المستشفى ، وأبقى معها حتى تتجاوز أزمتها .. اطمئن .

هبط المصعد بالجميع إلى أسفل ، ودفع الرجلان المحفة داخل سيارة الإسعاف ، ودلف خلفها (ألبرانو) ، وانطلقت سيارة الإسعاف ، فابتسم (ألبرانو) ، وانتزع الشارب المستعار عن وجهه ، وقال :

ـ انتهى الأمر .. يمكنك الاسترخاء الآن .

اعتدلت (نينا) ، وانتزعت عن رأسها الشعر الأشيب المستعار ، وهى تزفر قائلة :

ـ رباه !.. كدت أموت فزعًا .. تصوّرت أنهم سيكشفون أمرنا منذ اللحظة الأولى .

أجابها الملحق العسكرى مبتسمًا :

ـ كل شىء تمت دراسته بمنتهى الدقة .. اطمئنى .

زفرت مرة أخرى ، قبل أن تسأله :

ـ هل تنقلنا الإسعاف إلى حيث نستقل الزورق إلى (ترنداد) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا .. الإسعاف سيتجاوز بنا منطقة الحصار فحسب ، وبعدها سنستقل سيارة أخرى إلى ميناء بهجور ، حيث ينتظرنا الزورق البخارى ، الذى سينقلنا إلى جزيرة (ترنداد) .

صمتت لحظات ، ثم سألته فى توتر :

ـ وماذا عن (يائيل) ؟

تطلّع إليها الملحق العسكرى لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لا داعى للقلق على (يائيل) يا سيّدتى ، فعناية اللّه (سبحانه وتعالى) وضعته تحت رعاية واحد من أفضل وأقوى رجال المخابرات فى العالم .. اطمئنى .

نطقها فى ثقة شديدة ، على الرغم من أن قلبه كان يلقِى التساؤل نفسه فى قلق ..

ترى ما الذى يواجهه (أدهم) و (يائيل) الآن ؟!..

كيف يسير بهما الأمر ؟..

كيف ؟!..

★ ★ ★

ضغط (أدهم) فرامل سيارته فى قوة ، عندما فاجأه ذلك الجدار الضخم ، الذى يسدّ نهاية الطريق ، ودار بها نصف دورة ، لتتوقّف بعرض الطريق ، وهو يقول لنفسه :

أخطأت هذه المرة يا (أدهم) .

أما (يائيل) ، فهتف فى ارتياع .

ـ ماذا نفعل ؟!.. الطريق مسدود ، وليس معنا سلاح واحد ، ندافع به عن أنفسنا .. لقد وقعنا فى المصيدة .

أدار (أدهم) السيارة ، لتواجه مدخل الطريق ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس بعد .. اتبعنى .

قالها ، ووثب خارج السيارة ، وانتزع غطاء خزان وقودها ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة (دار) ورجاله ، وقد لحقت بها سيارة أخرى ، فأخرج (أدهم) منديله ، ودسّه فى خزان الوقود ، ثم التقط ثقابًا ، وحكّ قمته بسطح السيارة ، فاشتعل بسرعة ، وأشعل به المنديل ، هاتفًا :

ـ ابتعد بأقصى سرعة .

انطلق (يائيل) يعدو مبتعدًا ، نحو بعض المتاجر المغلقة ، فى نهاية الشارع المسدود ، فى حين قفز (أدهم) داخل السيارة ، وضغط دوّاسة وقودها ، وهو يدفع عصا السرعة إلى وضع الحركة ، قائلاً :

ـ هذه هديتى لك يا (دار) .

ووثب خارج السيارة ، مستطردًا فى سخرية :

ـ تعبيرًا عن عواطفى الملتهبة .

رأى (شيمون دار) السيارة تندفع نحوه ، والنيران مشتعلة فى خزان وقودها ، و (أدهم) يقفز منها ، فصرخ فى رجاله :

ـ إنه فخ .. ابتعدوا أيها الأغبياء .

أدار سائق السيارة عجلة القيادة فى عنف ، وانحرف بحركة حادة ، محاولاً تفادى (البورش) ، ولكن انحرافته لم تكن بالبراعة الكافية ، فلم تتجاوز مسار (البورش) تمامًا ، وهتف (دار) فى حنق :

ـ أيها الغبى .

ووثب خارج السيارة ، وألقى جسده أرضًا ، فى نفس اللحظة التى ارتطمت فيها (البورش) بالسيارة الأخرى ، وانفجرت بدوى عنيف أيقظ المنطقة كلها ..

وبينما يحدث هذا ، أسرع (أدهم) إلى (يائيل) ، الذى هتف متوترًا :

ـ وماذا بعد ؟.. ما زلنا داخل المصيدة !.

أزاحه (أدهم) فى حزم ، وأخرج من جيبه سلكًا دقيقًا ، راح يعالج به رتاج المتجر ، الذى يستند إليه (يائيل) ، فى نفس الوقت الذى هبّ فيه (دار) واقفًا ، وصاح :

ـ اللعنة !.. اقتلوهما .. اقتلوهما الآن .

توقّفت السيارة الأخرى ، وتجاهل ركّابها زملاءهم ، الذى يحترقون داخل السيارة الأولى ، ورفعوا فوهات أسلحتهم نحو (أدهم) و (يائيل) ..

وانطلقت الرصاصات فى الطريق المسدود ..

انطلقت فى نفس اللحظة ، التى عالج فيها (أدهم) الرتاج ، وفتح الباب ، ودفع (يائيل) داخل المكان ، ثم وثب خلفه ، والرصاصات تضرب الباب فى عنف ، قبل أن يغلقه (أدهم) من الداخل ، فهتف (يائيل) :

ـ رباه !.. إنها ورشة نجارة

أغلق (أدهم) الباب من الداخل فى إحكام ، بوساطة رتاج معدنى قوى ، ووقع أقدام (دار) ورجاله يقترب من المكان ، وصوته يصرخ فى ثورة :

ـ اقتحموا المكان ، وأطلقوا النار عليهما ، حتى يصيرا أشبه بمصفاتين من كثرة الثقوب .

انهالت الرصاصات على الباب كالمطر ، فهتف (يائيل) متوترًا :

ـ أمن الممكن أن يصمد هذا الباب طويلاً ؟

تلفّت (أدهم) حوله ، مغمغمًا :

ـ ليس أكثر من دقائق خمس ، على أقصى تقدير .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (دار) من الخارج ، يصرخ :

ـ لا فائدة .. لقد وقعتما فى المصيدة هذه المرة .. أعلم أنه لم يعد لديكما سلاح .

وقهقه ضاحكًا فى عصبية ، قبل أن يضيف :

ـ ولا أمل .

عضّ (يائيل) شفتيه فى غيظ ، فى حين عقد (أدهم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ يا للوغد !

ثم التفت إلى (يائيل) ، مستطردًا :

ـ أعطنى رصاصتك .

تطلّع إليه (يائيل) فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ رصاصتى ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ نعم .. الرصاصة التى تجلب لك الحظ .

دس (يائيل) يده فى جيبه ، وناوله الرصاصة ، وهو يسأله فى توتر :

ـ وماذا يمكنك أن تفعل برصاصة بدون مسدس ؟

التقط (أدهم) الرصاصة ، وهو يقول :

ـ سترى .

كانت الرصاصات تواصل انهمارها على الباب ، عندما جذب (أدهم) منضدة كبيرة ، مثبت بها منجلة كبيرة ،

وضع الرصاصة بين ضلفتيها ، وثبتها بأقصى قوة ، تاركًا جزءًا من غلافها الخلفى حرًا ، ثم وضع المنجلة فى مواجهة الباب تمامًا ، والتقط مطرقة ومسمارًا ، ووضع الطرف الحاد للمسمار فى منتصف دائرة الإشعال ، فى قاعدة الرصاصة ، وهو يقول لـ (يائيل) :

ـ التقط منشارًا يدويًا .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انهار رتاج الباب ، واقتحم المكان ثلاثة من رجال (دار) ..

وضرب (أدهم) المسمار بالمطرقة ..

واشتعل البارود اللادخانى فى مظروف الرصاصة ..

وانطلقت ..

وكانت مفاجأة مذهلة للرجال ، الذين اقتحموا المكان وكلهم ثقة ، فى أن (أدهم) و (يائيل) لا يملكان سلاحًا ، فإذا برصاصة تنطلق نحوهم ، وتخترق صدر أحدهم ، الذى أطلق شهقة ألم ودهشة ، وتراجع فى عنف ، فى ذات اللحظة التى ألقى فيها (أدهم) المطرقة بكل قوته ، لتصيب رأس الرجل الثانى ، وتلقيه أرضًا ، ودفع المنضدة كلها لترتطم بالثالث ، وتدفعه أمامها فى قوة ..

ووثب (يائيل) نحو (دار) ، والرجلين اللذين بقيا من فريقه ، وهو يصرخ :

ـ أيها الأوغاد .

وطوّح المنشار فى وجوههم ، فانحنى (دار) متفاديًا إياه ، فى حين أصابت الضربة عنق أحد رجليه ، فصرخ ألمًا ، وهو يسقط أرضًا ، والدماء تنزف من عنقه فى قوة ..

وبسرعة مدهشة ، انحنى (أدهم) يلتقط أحد المسدسات ، واعتدل يطلق رصاصته نحو المسدس ، الذى يمسك به الرجل الثانى ، فأطاح به على الفور ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها دوى أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب مسرعة ، فصرخ (دار) :

ـ لن تفلتا ، حتى ولو أطلقتما النار علينا جميعًا ، أو ...

هوى (أدهم) على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقاطعه قائلاً :

ـ أنت لا تساوى ثمن رصاصة .

سقط (دار) فاقد الوعى ، فى حين تراجع الرجل المتبقّى ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، فانحنى (يائيل) يلتقط مسدسًا بدوره ، ويصوّبه إليه ، قائلاً :

ـ لن تبتعد كثيرًا أيها الوغد .

كادت سبّابته تعتصر الزناد ، لولا أن دفع (أدهم) يده إلى أسفل ، وهو يقول فى صرامة :



كادت سبّابته تعتصر الزناد ، لولا أن دفع (أدهم) يده إلى أسفل ..

ـ لا داعى لهذا .

التفت إليه (يائيل) فى دهشة ، وهتف مستنكرًا :

ـ هل ستتركه يفلت ؟

أجابه (أدهم) بنفس الصرامة :

ـ نعم ..

وأشار إلى نافذة صغيرة فى أعلى الورشة ، مستطردًا :

ـ ثم إنه لا وقت لدينا لهذا .. سنفرّ عبر هذه النافذة ، قبل أن تصل قوات الشرطة .. هيا .

دسّ (يائيل) مسدسه فى حزامه ، وهو يقول محنقًا :

ـ لن يمكننى فهمك أبدًا .

تجاهله (أدهم) تمامًا ، وهو يحمل سلمًا خشبيًا ، ويسنده إلى جدار الورشة ..

وبينما كانا يتجاوزان النافذة الصغيرة ، إلى شارع خلفى ضيق ، كانت سيارات الشرطة تعبر مدخل الشارع المسدود ، وتتوقّف أمام ورشة النجارة ، وهبط كبير المفتشين (بوناسيو) من إحداها ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى ذهول ، هاتفًا :

ـ رباه .. ماذا حدث ؟!.. أهى مذبحة ؟

أسرع أحد رجال الشرطة يفحص (دار) ورجاله ، قبل أن يجيب :

ـ كلا يا سيّدى .. كلهم مصابون ، ولكن أحدهم لم يلق مصرعه .

ارتفع حاجبا (بوناسيو) فى دهشة ، قبل أن يغمغم :

ـ عجبًا ؟!

وصمت لحظة ، ثم أدار عينيه فى المكان مرة أخرى ، قائلاً :

ـ استدعوا سيارات الإسعاف إذن ، فهذه الليلة تبدو وكأنها لن تنتهى أبدًا .

ثم توقّفت عيناه عند النافذة المفتوحة ، وأشار إليها ، مستطردًا فى عصبية :

ـ لقد فرّا من هنا .. الرجلان اللذان نسعى خلفهما فرّا من تلك النافذة .. أسرعوا خلفهما ، ولا تسمحوا لهما بالهرب أبدًا ..

وصرخ فى ثورة :

ـ هل تفهمون ؟!.. أبدًا .

وتواصلت المطاردة .. من جديد ..

★ ★ ★

راح التوتر يتصاعد فى أعماق (نينا) بشدة ، وهى داخل تلك السيارة ، التى يقودها الملحق العسكرى إلى ذلك الميناء المهجور ، حيث ينتظرهما الزورق البخارى ،

وقد وضعت على رأسها شعرًا أشقر مستعارًا ، واحتفظت بثوب ومنظار سنيورا (كاجينى) ، واشتعل القلق فى أعماقها أكثر وأكثر ، وهى تفكر فى (يائيل) ، الذى يقاتل بدوره للفرار من (فنزويلا) ، قبل أن يطبق عليه الإسرائيليون ، ووجدت نفسها تقول فجأة دون تفكير :

ـ الصحافة !

التفت إليها الملحق العسكرى متسائلاً ، فاستطردت فى مزيج من التوتر والحماس :

ـ لماذا لم تحاولوا نقل الأمر إلى الصحافة ؟.. يمكنكم عقد مؤتمر صحفى ، وشرح الأمر كله ، ولن يستطيع أحد أن يتحدّى الصحافة ، عندما تشرحون لها الحقائق كلها .

أجابها فى هدوء :

ـ أتقصدين مثلما فعل السيناتور (ستاسى) ؟

انعقد حاجباها فى توتر ، وهى تقول :

ـ لن يمكنهم اغتيال (يائيل) ، وسط حشد من الصحفيين .

ابتسم فى شىء من السخرية ، وهو يجيب :

ـ لو أنك سألت (يائيل) نفسه ، لأخبرك أنهم يستطيعون اغتياله ونسف حشد الصحفيين كله ، دون أن يطرف لهم جفن .

قالت فى حدة :

ـ ليس إلى هذا الحد .. من الواضح أنك لا تقدِّر الصحافة حق قدرها .

أجاب صارمًا :

ـ بل أنت التى تجهلين قواعد عالم المخابرات تمامًا ، ولا يمكنك استيعاب (الموساد) ووسائله .. إنهم لن يلتزموا بأية قواعد أو أعراف أو مبادئ ، فى سبيل إسكات (يائيل) ، ومنعه من كشف أسرارهم .

عقدت ساعديها أمام صدرها فى عناد ، وهى تقول :

ـ ما زلت أصرّ على أن الصحافة يمكنها أن تفعل شيئًا .

رآها تشيح بوجهها ، وكأنها تعلن عدم استعدادها لخوض المزيد من النقاش حول هذا الأمر ، فمطَّ شفتيه ، وهزَّ رأسه مغمغمًا :

ـ يا للعناد !

ولاذ بالصمت بدوره ، حتى بلغت السيارة ذلك الميناء المهجور ، فقال لها الملحق العسكرى فى حزم :

ـ انتظرى هنا يا سيِّدتى ، ولا تغادرى السيارة حتى أعود إليك .

أومأت برأسها إيجابًا ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فحمل مسدسه ، وتحرك نحو رصيف الميناء فى حذر ، وراقب الزورق لحظات ، قبل أن يطلق من بين شفتيه صوتًا خاصًا ، أشبه بصوت البومة(*) ، فاعتدل قائد الزورق البخارى ، وأطلق صوتًا مماثلاً ، جعل الملحق العسكرى يغادر مكمنه ، ويقول بالعربية :

ـ صباح الخير يا رجل .. أأجد لديك مشروبًا يناسب نزلات البرد ؟

أجابه الرجل بنفس اللغة فى هدوء :

ـ بالطبع .. لو أن الينسون يصلح لهذا .

ابتسم الملحق العسكرى فى ارتياح ، بعد أن تبادل كلمات السر مع قائد الزورق ، الذى سأله فى اهتمام :

ـ هل أحضرت المسافرة ؟

أجابه الملحق العسكرى :

ـ نعم .. إنها فى السيارة .. سأحضرها على الفور .

غمغم قائد الزورق :

(*) البوم : طيور ليلية جارحة ، منتشرة فى معظم أرجاء العالم ، تشبه الصقور ، ولكن مناقيرها معقوفة ، ومخالبها طويلة حادة ، وعيونها مكيَّفة للإبصار فى الظلام ، تفترس القوارض والحشرات ، وهى رمز للحكمة عند الأوروبيين ، ونذير شؤم بالنسبة للمصريين .

ـ هذا أفضل .. إنهم ينتظرونها على أحر من الجمر فى (ترنداد) .

ابتسم الملحق العسكرى ، مغمغمًا :

ـ اطمئن .

ثم عاد أدراجه إلى السيارة ، وفتح بابها ، قائلاً :

ـ هيا يا سيِّدتى .. الطريق آمن ، و ...

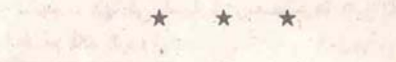
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يهتف :

ـ رباه !.. أين ذهبت ؟

انطلق يبحث عنها فى الجوار ، فى توتر شديد ، ولكن النتيجة كانت واضحة ..

لقد اختفت (نينا شيريدان) ..

اختفت تمامًا .





٨ ـ أنياب الخطر ..

(كراكس) .. الثانى عشر من يوليو ..

الثالثة صباحًا ..

انعقدت سحب الدخان فوق رأس المفتش (باردو) ، وهو يجلس فى شرفة منزله ، يدخن سيجارة تلو الأخرى فى شراهة ، وذهنه شارد تمامًا ، حتى تسلَّل إلى أذنيه صوت زوجته ، وهى تسأله فى رفق وقلق :

ـ أما زلت مستيقظًا ؟

التفت إليها ، وهو يطفئ سيجارته ، مغمغمًا :

ـ لم أستطع النوم .

جذبت مقعدًا ، وجلست إلى جواره ، قائلة فى حنان :

ـ ما الذى يقلقك ؟

تنهَّد فى توتر ملحوظ ، وهو يشعل سيجارة أخرى ، قائلاً :

ـ كل ما يحدث يثير فى نفسى القلق .. شىء ما لا يسير على ما يرام الليلة .. بل منذ اغتالوا السيناتور (ستاسى) .. الأسلوب الفج ، الذى يتعامل به (بوناسيو) ، وأولئك

الغرباء ، الذين يسمح لهم بـالتحرك وسط قواتنا ، كما لو أنهم يفوقوننا سلطة ، وطريقتهم فى مطاردة ، أفراد مجهولين .. ألا يكفى هذا ليجافينى النوم ؟!

قالت فى قلق :

ـ ولكنك لا تملك ما تفعله ، إزاء ما يحدث .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يردّد :

ـ لا أملك ما أفعله ؟!.. ربّما .

ثم هبّ واقفًا بحركة مباغتة ، مستطردًا فى حزم :

ـ وربما لا .

وأطفأ سيجارته فى عنف ، وملامحه كلها تنطق بالعزم والصرامة ، فسألته زوجته ، وقلبها يرتجف قلقًا وتوترًا :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

التقى حاجباه مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ ما ينبغى أن يفعله أى رجل شرطة شريف .

والتقط مسدسه ، ودسّه فى حزامه ، وهو يغادر المنزل ، فهتفت به :

ـ إلى أين ؟!.. إنها الثالثة صباحًا .

ولكنه غادر المنزل ، دون أن يجيب بكلمة واحدة ..

لقد قرّر أن يقتحم ما يحدث أيًا كان ..

وبلا هوادة ..

★ ★ ★

قفز (أدهم) يعتلى سور فيلا صغيرة ، على مسافة مائتى متر من ورشة النجارة ، ثم مدّ يده يلتقط (يائيل) ، ويساعده على الصعود ، فتأوّه هذا الأخير فى ألم ، وهو يعتلى السور بدوره ، مما جعل (أدهم) يسأله :

ـ هل تشعر بالتعب ؟

أجابه (يائيل) لاهثًا :

ـ جرح فخذى ينزف بشدة .

انحنى (أدهم) يمزّق جزءًا من سرواله ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى ضمادات الفخذ ، التى أغرقتها الدماء ، وقال :

ـ لن يمكنك الاستمرار على هذا النحو .. لو فقدت المزيد من الدماء ستفقد وعيك ، ولن يعود بإمكانك الاستمرار .

قال (يائيل) فى ألم :

ـ ولكنهم يواصلون مطاردتنا .

أدار (أدهم) عينيه فيما حوله ، وقال :

ـ أيًا كان ما يفعلونه ، لن يمكنك الاستمرار .. أنت تحتاج إلى الراحة حتمًا .

حاول (يائيل) أن يبتسم فى إرهاق ، وهو يغمغم :

ـ وكيف يمكن الحصول عليها ، فى ظروف كهذه ؟

حمله (أدهم) على كتفه بحركة مباغتة ، وهو يقول :

ـ دعنا نحاول .

وقبل أن يعترض (يائيل) ، كان (أدهم) يثب به داخل حديقة الفيلا ، ويعبرها عدوًا ، حتى بلغ بابها ، فهتف (يائيل) فى عصبية ، وبصوت خافت خائف :

ـ عظيم .. والآن ماذا تنوى أن تفعل ؟!.. هل تطرق الباب ، وتطلب من أصحاب الفيلا السماح لنا بالدخول ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو ينزله إلى جوار الباب :

ـ لا يوجد أحد هنا .

تطلّع إليه (يائيل) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لا تقل لى إنها أيضًا واحد من منازلكم الآمنة !

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وانحنى يعالج رتاج الباب فى مهارة وحنكة ، قائلاً :

ـ كلا .. إنها ليست كذلك ، ولكنها إما أن تكون خالية ، أو يكون سكانها من الأموات ، فمع انفجار (البورش) ، والرصاصات التى شقّت سكون الليل ، على مسافة مائتى متر ، كان ينبغى أن يستيقظ أحدهم على الأقل ، وتضاء نافذة واحدة كحد أدنى ، أو ..

قاطعته زمجرة مباغتة من خلفه ، امتزجت بشهقة (يائيل) ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. إنهم لم يتركوا الفيلا بلا حراسة .

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت فى سرعة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى كلب ضخم ، من طراز كلب الرعاة الألمانى ، المعروف بالسترة السوداء(*)

أطلق زمجرة ثانية ، برزت خلالها أنيابه الحادة القوية ، و ..

وانقضّ ..

انقضّ على (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

انتفض جسد (شيمون دار) فى عنف ، وهو يستعيد وعيه بغتة ، واعتدل فوق محفة رجال الإسعاف ، هاتفًا :

ـ أين هو ؟

ارتفعت حواجب الجميع فى دهشة ، وقال أحد رجال الإسعاف ، محاولاً إعادته إلى المحفة :

ـ سيّدى .. المفروض أن ..

قاطعه (دار) فى حدة وصرامة ، وهو يهبط عن المحفّة :

ـ لا شأن لك بى .. ابتعد .. ابتعد أو أزيّن جبهتك برصاصة فى منتصفها .

(*) يعرف فى (مصر) باسم الوولف (Black jacket)

قالها ، وهو يبحث عن مسدسه فى جيب سترته ، ثم استطرد فى غضب ، عندما لم يعثر عليه :

ـ أين مسدسى ؟

أسرع إليه (بوناسيو) ، وهو يقول فى حدة وعصبية :

ـ اصمت يا رجل .. اصمت بالله عليك .. ستفسد حياتى كلها بما تفعله .

تجاهل (دار) قوله ، وهو يقول محتدًا :

ـ ذلك الشيطان فرّ منا بأعجوبة .. دعنا نلحق به ، قبل أن يبتعد كثيرًا .

لوّح (بوناسيو) بيده ، قائلاً :

ـ رجالى يطاردونه .. اطمئن .. ولكن اخفض صوتك بالله عليك .. الجميع يتساءلون عن الصفة التى تتمتّع بها ، والتى تبيح لك التصرُّف على هذا النحو .

قال (دار) فى غضب :

ـ لا تلق بالاً لهم .. إننا نستطيع شراء الجميع بأى ثمن ، المهم أن نظفر بذلك الشيطان المصرى وبرجلنا المنشق .

ولوّح بيده ، مستطردًا ، فى عصبية :

ـ والآن أعطنى مسدسًا .. أى مسدس .. أشعر وكأننى عار تمامًا بدون مسدس .

ناوله (بوناسيو) مسدسًا ، وهو يقول :

ـ خذ .. إنه يخصّ أحد رجالك .. والآن اتركنا نواصل مطاردتنا للرجلين .

أمسك (دار) المسدس فى قوة ، وقال :

ـ بل قل إننا سنسعى معًا خلفهما يا رجل .. لن أترك فرصة قتلهما تفلت من يدى قط .

قالها ، وكل خلجة من خلجاته تصرخ بالغضب .. وبالشر ..

★ ★ ★

انقضّ كلب الرعاة الألمانى على (أدهم) ، بكل قوته وشراسته ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، وأنيابه تضرب الهواء ، والزبد يسيل من شدقيه ، فى مشهد رهيب مخيف ، كفيل بتحطيم أعصاب أقوى وأشجع الرجال ..

ولكن ليس (أدهم صبرى) ..

لقد تحرك بسرعة مذهلة ، تفوّقت على سرعة انقضاض الكلب ، فمال جانبًا ، متفاديًا ، انقضاضته ، ودار حول نفسه ، ثم أحاط عنق الكلب بذراعه الفولاذية ..

وكانت مفاجأة مدهشة لكلب الحراسة القوى ، عندما تعلّق جسده فى الهواء ، وذراع (أدهم) الفولاذية تعتصر عنقه ..

وفى لحظة واحدة ، تحوّلت زمجرة الكلب الوحشية إلى نباح مذعور ، قبل أن يضرب الهواء بمخالبه ، فى محاولة لمقاومة خصمه ، الذى حطّم كل ما اختزنه فى ذاكرته عن قدرات البشر وردود أفعالهم ..

ولكن محاولاته لم تذهب كلها هباءً ..

لقد نجحت مخالبه فى تمزيق جزء من سترة (أدهم) وقميصه ، قبل أن يضمّ هذا الأخير قبضته ، ويهوى بها على مؤخرة عنق الكلب بلكمة قوية ، أطلق لها كلب الحراسة القوى عواءً محدودًا ، قبل أن يتراخى جسده تمامًا ..

وفى رفق ، وضع (أدهم) الكلب أرضًا ، وهو يغمغم :

ـ أنت أجبرتنى على هذا .

ثم استدار لتلتقى عيناه بعينى (يائيل) ، الذى يحدّق فيه بدهشة وانبهار ، وهو يقول :

ـ كيف فعلت هذا ؟

تطلّع إليه (أدهم) فى صمت ، دون أن يجيب سؤاله ، ثم عاد يعالج رتاج باب الفيلا فى اهتمام ، و (يائيل) يتابع مبهورًا :

ـ إننى لم أشاهد فى حياتى كلها شخصًا يتحرّك بهذه السرعة !.. لقد عالجت الموقف على نحو لم أعهده قط .. لقد ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ كفى .

كان يحتاج إلى منتهى الهدوء والتركيز ، ليعالج ذلك الرتاج الخاص ، ولقد تعامل معه بمهارة مدهشة ، ثم لم يلبث أن توقّف بغتة ، فسأله (يائيل) فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟

أشار (أدهم) إلى الرتاج ، قائلاً :

ـ إنه متصل بجهاز إنذار خاص ، يبلغ الشرطة عند محاولة اقتحام المنزل .

سأله (يائيل) ، وقد تضاعف قلقه :

ـ وماذا نفعل معه ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ نتجاوزه .

لم يكن لجوابه معنى خاص ، مما جعل (يائيل) يتطلّع إليه فى حيرة متسائلة ، لم تلبث أن تضاعفت عشر مرات على الأقل ، عندما وثب (أدهم) متعلّقًا بحاجز الباب ، ثم انثنى جسده فى مرونة ، وقفز ليمسك إفريز النافذة ، ومنه إلى حاجز الشرفة العلوية ..

كان يتحرّك كلاعب سيرك محترف ، حتى أن عينى (يائيل) اتسعتا فى انبهار ، وهو يحدّق فيما يحدث ،

حتى بلغ (أدهم) الشرفة ، وراح يعالج رتاجها بسرعة ، قبل أن يفتحها ، ويختفى داخل المنزل ، ويغلقها خلفه ..

ومضت لحظات من الصمت والسكون ، قبل أن يفتح (أدهم) الباب ، قائلاً :

ـ هيا .. لقد أوقفت جهاز الإنذار .

نهض (يائيل) فى ألم ، ودفع جسده داخل الفيلا دفعًا ، ثم ألقاه فوق أول أريكة صادفته ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك كنت على حق .. لم يكن باستطاعتى الاستمرار .. بهذه الجروح .

كان يتحدث فى ضعف واضح ، فانحنى (أدهم) يفحص جرح فخذه ، وهو يقول :

ـ إنك تحتاج إلى تغيير الضمادات وتطهير الجرح .

ثم تطلع إلى عينيه المسبلتين ، مستطردًا :

ـ وإلى قليل من النوم .

استرخى (يائيل) ، وهو يغمغم :

ـ كم أتمنى هذا .. هل تعلم ؟.. المسدس الذى حصلت عليه كان خاليًا من الرصاصات .. يا له من حظ .

تركه (أدهم) يسترخى فوق الأريكة ، وراح يحل الضمادات فى سرعة ، ثم التقط واحدة من زجاجات الخمر من البار ، وهو يقول ساخرًا :

ـ يبدو أننا وجدنا فائدة واحدة للخمور على الأقل .

قالها ، وهو يصب بعض محتويات الزجاجة على الجرح ، فتأوه (يائيل) فى ألم ، وهتف بصوت خافت :

ـ رويدك يا رجل .. إنها تؤلم بشدة .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ ولكن نسبة الكحول فيها تساعد على تطهير الجرح(*) .

حاول (يائيل) أن يبتسم فى إرهاق ، وهو يقول :

ـ وتمتع العقل .

مط (أدهم) شفتيه ، وهو يلتقط منشفة نظيفة ، ويضمد بها الجرح ، قائلاً :

ـ بل قد تذهب بالعقل ، فعندما يمتزج الكحول بالدم ، يفقد الإنسان قدرته على التركيز ، وعلى التحكم فى أفعاله المنعكسة ، وتضعف ردود أفعاله ، كما تتهيج أعصابه ، ويصير عنيفًا بلا حكمة أو عقل(**) .

(*) الكحول : مركب عضوى يتركب جزيئه من الكربون والهيدروجين والأكسجين ، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من مجموعات الهيدروكسيل ككحول (الميثيل) ، وكحول (الإيثيل) ، والكحولات الثنائية والثلاثية ، وتختلف الكحولات فى خواصها الفيزيقية والكيميائية ، كما تختلف بين سوائل وجوامد ، وذلك فى درجات الحرارة العادية .

(**) حقيقة .

تطلع إليه (يائيل) لحظة ، ثم سأله :

ـ أنت لا تشرب الخمر قط .. أليس كذلك ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لست أحمق لأفعل .. هل تعلم أن بائعى الخمر أنفسهم لا يشربونها قط ؟

ضحك (يائيل) ، وهو يقول :

ـ نعم .. أعلم هذا .

كان يرغب بشدة فى الاسترخاء ، فأسبل جفنيه ، وحاول أن يقنع عقله بالنوم ، و ...

وفجأة ، ارتفع صوت سيارات الشرطة ، وهى تتوقف أمام الفيلا ..

وكان هذا يعنى أن الخطر قد عاد ..

وبشدة ..

★ ★ ★

استل (دار) مسدسه ، وهو يغادر سيارته ، أمام الفيلا مباشرة ، ولوح به فى صرامة ، قائلاً :

ـ فيلا خاصة .. آه .. مكان مثالى للاختباء .

أشار إليه (بوناسيو) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ رويدك يا رجل .. هذه الفيلا بالذات فوق الشبهات .

انعقد حاجبا (دار) ، وهو يقول محتدًا :

ـ لا يوجد مكان فوق الشبهات .. أنت لا تعرف الرجل الذى نطارده .. إنه شيطان .. هل تفهم ؟.. شيطان .

صاح (بوناسيو) :

ـ حتى ولو كان ملك الشياطين نفسه .. لا يمكننا اقتحام هذه الفيلا أبدًا .

سأله (دار) فى غضب :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (بوناسيو) غاضبًا ، وهو يشير إلى الفيلا :

ـ لأنها ملك السنيور (راكويل) .. إمبراطور الصناعة والاقتصاد فى (فنزويلا) .. أول فيلا بناها فى حياته ، وهو يعتز بها للغاية .

قال (دار) فى حدة :

ـ هذا واضح .. يعتز بها إلى الحد الذى يتركها فيه بلا حراسة .

قال (بوناسيو) فى عصبية :

ـ الفيلا لا تحوى ما يغرى اللصوص ، ثم إنه هناك كلب حراسة قوى فى حديقتها ، يقوم منسق الزهور برعايته طوال النهار ، ويتركه لحراسة الفيلا فى الليل ، والجميع هنا يعرفون قصة ذلك اللص ، الذى حاول دخول الفيلا ، فمزقه ذلك الكلب إربًا .. وهناك أيضًا جهاز إنذار متطور ، و ...

قاطعه (دار) فى صرامة :

ـ وأين هذا الكلب ؟!

تطلّع (بوناسيو) عبر قضبان البوّابة ، ووقع بصره على الكلب الضخم ، وهو يستعيد وعيه ، ويهزّ رأسه فى بطء ، فقال :

ـ ها هوذا .. هل يمكنك أن تخاطر بالتسلّل إلى الفيلا ، فى وجود كلب ضخم كهذا ؟

انعقد حاجبا (دار) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الكلب ، الذى استعاد وعيه ليجد عشرات الرجال والأضواء أمام البوّابة ، مما أثار عصبيته وتوتره ، فاندفع نحوها ، وهو ينبح فى وحشية وشراسة ، وابتسم (بوناسيو) فى عصبية ، قائلاً :

ـ أرأيت ؟!

رمق (دار) الكلب بنظرة سريعة متوترة ، ثم أدار عينيه إلى الفيلا المظلمة لحظات ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. هيا بنا نواصل المطاردة .

عاد الجميع إلى سياراتهم ، وأشار (بوناسيو) إلى رجاله ، قائلا :

ـ أنتم إلى الطريق الرئيسى ، أما أنت وأنت ، فاتجها إلى الميناء ، والقوا القبض على كل من تشتبهون فيه

هناك ، واطلبوا من حراس الحدود والسواحل تشديد قبضتهم أكثر ، ومضاعفة الدوريات والتفتيش والمراقبة .

انطلقت السيارات كلها ، وبقيت سيارة واحدة تضمّ (دار) و (بوناسيو) ، وثلاثة من رجال الشرطة ، وأشعل الأوّل سيجارته ، وهو يقول :

ـ ماذا يحدث يا (بوناسيو) ؟.. ألا يستطيع رجالك كلهم إلقاء القبض على رجلين ، أحدهما مصاب بعدة رصاصات ؟

أجابه (بوناسيو) فى توتر شديد :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا ، وأنت لا تدرى ما الذى أفعله من أجلكم .. لقد أشعلت حربًا فى المدينة كلها ، لمعاونتكم على إنهاء عمليتكم السخيفة .

نفث (دار) دخان سيجارته ، قائلاً :

ـ أعتقد أننا ندفع ثمنًا مناسبًا لهذا .

احتقن وجه (بوناسيو) ، وهو يقول :

ـ وبم يفيد هذا الثمن ، لو ثارت ثائرة الحاكم ، وطلب تقريرًا رسميًّا عما يحدث هنا ؟!

أجابه (دار) فى صرامة :

ـ لا تقلق بشأن الحاكم .. اترك أمره لنا .

تراجع (بوناسيو) كالمصعوق ، وهتف :

ـ ماذا ؟!.. هل تعنى أن ...

قاطعه (دار) فى صرامة :

ـ لست أعنى شيئًا .. هيا نواصل مطاردة الرجلين ، فربّما ..

كان يلوّح بيده فى الهواء ، عندما تجمّدت فى موضعها بغتة ، وهو يبتر عبارته ، ويحدّق فى نقطة ما عند السور ، قبل أن يندفع نحوها ، ويتحسّسها ، بأصابعه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ ترى هل ..

لم يتم عبارته ، فسأله (بوناسيو) فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

التفت إليه (دار) فى انفعال ، قائلاً :

ـ دم .. دم طازج على السور يا رجل .

ثم استلّ مسدسه بسرعة ، وأشار إلى الفيلا ، مستطردًا :

ـ إنهما هنا .. كنت أعلم أنهما هنا .

وصاح فى رجال الشرطة الثلاثة :

ـ هيا يا رجال .. سنقتحم المكان .

هتف (بوناسيو) :

ـ سنيور (دار) .. أنا أحذرك ..

ولكنه لم يتم عبارته ..

لقد ابتلعها مع رصاصة أطلقها (دار) نحو قفل بوّابة الفيلا ..

ومع تحطمّ القفل ، زمجر الكلب ، وتراجع مستعدًّا للانقضاض ، ولكن (دار) أطلق رصاصة أخرى على رأسه ، قائلاً :

ـ ابتعد أيها الكلب الحقير .

سقط الكلب الضخم صريعًا ، أمام عينى (بوناسيو) المذعورتين ، و (دار) يضيف فى صرامة وانفعال :

ـ هيا يا (بوناسيو) .. مر رجالك بالهجوم ..

ومن خلف ستار النافذة ، رأى (أدهم) و (يانيل) سيارة الشرطة تقتحم حديقة الفيلا ، ويهبط منها ثلاثة رجال مسلحون ، يتقدّمهم (دار) و (بوناسيو) ، والجميع يتجهون نحو الفيلا ، لبدء جولة جديدة ..

جولة قاتلة .

* * *



ومع تحطمّ القفل ، زمجر الكلب ، وتراجع مستعدًّا للانقضاض ،
ولكن (دار) أطلق رصاصة أخرى على رأسه ..

٩ ـ الاتجاه المباشر..

تأوَّه (لون جولهى) فى ألم ، وهو يستعيد وعيه ، وشعر بارتجاج واضح ، وهو يفتح عينيه ، ويحدِّق فى وجه الشخص الذى يجلس إلى جواره ، والذى قال فى برود صارم :

ـ أخيرًا ، استعدت وعيك .

حدَّق (جولهى) فيما حوله فى دهشة ، وهو يعتدل جالسًا ، فلم يكن داخل مستشفى ، أو حتى سيارة إسعاف ، وإنما كان يرقد داخل سيارة مراقبة خاصة(*) ، وأمامه رجل المخابرات الأمريكى (رونالد جير) ، يتطلَّع إليه فى صرامة ، وحوله عدد من الرجال ، أمام أجهزة السيارة ، فهزَّ رأسه ، وقال فى توتر :

(*) سيارة المراقبة الخاصة : سيارة مجهَّزة بأجهزة ، رصد وتنصت ، وشبكة هاتف دولية ، وأجهزة كمبيوتر ، ومتصلة بالأقمار الصناعية مباشرة ، بحيث تصبح أشبه بوحدة مراقبة متحركة ، وهى ابتكار أمريكى ، يستخدمها عادة رجال المباحث الفيدرالية ، أو رجال المخابرات الأمريكيين ، فى بعض العمليات المحدودة .

ـ ماذا حدث يا مستر (جير) ؟.. ما الذى أتى بى إلى هنا ؟

أجابه (جير) فى صرامة :

ـ غباؤك .

انتفض (جولهى) فى توتر ، وقال :

ـ مستر (جير) .. لن أسمح لك بـ ....

قاطعه الأمريكى فى صرامة :

ـ اصمت .

ثم تراجع فى مقعده ، ولوَّح بيده فى حدة ، مستطردًا :

ـ ماذا أصابكم هذه المرة ؟!.. لقد أديتم العمل المطلوب منكم فى نجاح ، واغتلتم (ستاسى) .. لماذا تثيرون كل هذه الضجة إذن ؟

تحسَّس (جولهى) موضع إصابته ، وهو يجيب :

ـ الرجل الذى قام بالعمليَّة خاننا ، واتصل بالمصريين ، وطلب حق اللجوء السياسى فى (مصر) .

انعقد حاجبا (جير) فى شدة ، وهو يقول :

ـ اللجوء السياسى ؟!

ثم مال نحو (جولهى) ، مستطردًا :

ـ ألهذا تطاردونه بهذه الشراسة ؟!

أومأ (جولهى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ لو أنكم فى موضعنا لفعلتم المثل .

تراجع (جير) فى مقعده ، وقال :

ـ بل لو أننا فى موضعكم ، لما استغرق منا الأمر أكثر من ساعات معدودة .

أجابه (جولهى) فى حدة :

ـ هذا ما يصوِّره لكم غروركم ، ولكنك لا تعلم أن المصريين أرسلوا أقوى وأخطر رجالهم لإحضار (يائيل) .

ثم مال نحوه ، وأضاف فى لهجة ذات مغزى خاص :

ـ (أدهم صبرى) .

انعقد حاجبا (جير) فى شدة ، عندما سمع الاسم ، وندت منه حركة عصبية واضحة ، قبل أن يقول من خلف أسنانه فى قسوة :

ـ (أدهم صبرى) ؟.. آه .. إذن فالمصريون يضعون إحضار (يائيل) على قمة أعمالهم .

وصمت لحظات ، وملامحه كلها تنطق بالغضب والثورة ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .. تناول قدحًا من القهوة المركَّزة يا (جولهى) ، ورتب أفكارك جيدًا ، فستقص علىَّ كل ما تعرفه عن هذا الأمر ، وبأدق التفاصيل .

سأله (جولهى) فى حذر :

ـ هل تنوى الدخول فى اللعبة ؟

أومأ (جير) برأسه إيجابًا ، وضاقت عيناه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ نعم يا (جولهى) .. سندخل اللعبة على مسئوليتى الخاصة ، ولكن ..

وأشار إلى ما يحيط به من أجهزة ، مستطردًا :

ـ على الطريقة الأمريكية .

قالها ، وعيناه تتألقان فى شدة ..

وفى قسوة ..

★ ★ ★

« إنهم يتجهون إلى هنا مباشرة .. »

نطق (يائيل) العبارة فى توتر شديد ، وهو يراقب الرجال ، الذين يقتربون من المنزل فى حذر ، فأشار إليه (أدهم) بالصمت ، وهو يراقب المشهد بدوره ، ويستمع إلى (دار) ، الذى قال لرجال الشرطة :

ـ فليتجه اثنان منكم إلى المخرج الخلفى .. اطلقا النار بلا تردُّد على كل من يتحرّك ، أو يحاول الخروج منه .

أسرع اثنان من رجال الشرطة إلى المخرج الخلفى ، فى حين اتجه (دار) و (بوناسيو) والشرطى الثالث إلى الباب الرئيسى ، و (بوناسيو) يقول :

ـ لو أننا لم نعثر عليهما هنا ، فستكون قد وضعتنى فى مأزق شديد الحرج يا سنيور (دار) .

أجابه (شيمون دار) فى حزم :

ـ إنهما هنا .. ليس لدى أدنى شك فى هذا .

تلفت (بوناسيو) حوله فى توتر ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، أعتقد أنه من الأفضل أن نطلب الإمدادات ، قبل أن نقتحم المكان .

قال (دار) فى صرامة :

ـ من الخطأ أن نضيع لحظة واحدة .

قال (بوناسيو) فى عصبية :

ـ ومن الخطأ أكثر أن نواجه رجلاً تصفه بالشيطان ، دون أن تؤازرنا قوة ضخمة .

صاح به (دار) :

ـ اصمت ، وتمالك أعصابك يا رجل .

احتقن وجه (بوناسيو) فى غضب ، ولكنه احتفظ بلسانه خلف أسنانه ، واستلّ مسدسه بدوره ، وهو يبتهل إلى الله أن تمضى هذه الليلة بسلام ..

أما فى الداخل ، فقد بلغ توتر (يائيل) مبلغه ، وهو يتلفّت حوله ، قائلاً :

ـ ماذا نفعل ؟!.. هل نطلق عليهم النار ؟!..

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً فى صرامة :

ـ اصمت .

ثم تحرّك فى سرعة ، وانتزع سلكى جهاز الإنذار ، ثم أوصلهما برتاج الباب فى مهارة ، و (يائيل) يتابعه ببصره ، ويسأله متوترًا :

ـ ما المفروض أن يفعله هذا ؟

تجاهله (أدهم) تمامًا ، وهو يلتقط مقعدًا صغيرًا ، ويتأهّب متحفزًا ..

وفى نفس اللحظة ، دفع (دار) رتاج الباب ، وهو يقول :

ـ استعدا .. سنقتحم المكان ، و ...

قالها ، وهو يدير الرتاج ، ثم انتفض جسده فى عنف ، عندما تسبّبت إدارته فى توصيل سلكى جهاز الإنذار ، اللذين نقلا التيار إلى الرتاج نفسه ، فصعقه ، وألقاه بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الإنذار نفسه ..

وبكل قوته ، ألقى (أدهم) المقعد نحو النافذة ، فاخترقها بدوى عنيف ، التفت نحوه (بوناسيو) والشرطى ، مع فوهتى مسدسيهما ، وأطلقا النار ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، كان (أدهم) يقتحم النافذة الثانية ، على الجانب الآخر للباب ، ويعبرها إلى الحديقة ، ثم يهوى على فك (بوناسيو) بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :

ـ إنها حركة تمويه .

وأعقب لكمته بثانية كالصاعقة ، ألقت كبير المفتشين أرضًا فاقد الوعى ، وهو يستطرد :

ـ نجحت فى خداعك كغرّ ساذج .

استدار إليه الشرطى فى توتر شديد ، ليطلق عليه النار ، فى نفس اللحظة التى هرع فيها الشرطيان الآخران من خلف الفيلا ، لمؤازرة زميلهما ، فوثب (أدهم) جانبًا ، متفاديًا الرصاصة ، ثم قبض على معصم الشرطى ، وهو يقول :

ـ خسرت فرصتك يا رجل .

ثم دار على عقبيه ، حتى أصبح ظهره يواجه الشرطى ، وهوى على معدته بمرفقه ، فشهق الشرطى فى ألم ، فى حين قبضت يد (أدهم) على يده الممسكة بالمسدس ، وأمالها فى سرعة ومهارة ، وضغط زناد مسدس الشرطى ، لتنطلق منه رصاصتان ، أطاحت كل منهما بمسدس أحد الشرطيين ، قبل أن يدور (أدهم) حول نفسه ، ويلكم الشرطى فى فكه ، ويسقطه فاقد الوعى ..

تراجع الشرطيان فى ارتياع ، عندما فقدا مسدسيهما ، ثم انتبها فجأة إلى أن (أدهم) لا يصوّب إليهما سلاحًا ، فانقضّا عليه فى شراسة ، وأحدهما يهتف بزميله :

ـ هاجمه من اليمين ، وسأنقضّ عليه من اليسار ، و ...

أخرسه (أدهم) بلكمة قوية ، هشمت أنفه ، واثنتين فى أسنانه ، ثم وثب فى الهواء ، ودار حول نفسه فى مهارة ، ليركل الثانى فى فكه ، ويطيح به فاقد الوعى ، قبل أن يهتف فى (يائيل) :

ـ أسرع يا رجل .. سنستولى على سيارتهم .

بذل (يائيل) قصارى جهده ، ليعدو إلى جواره ، حتى سيارة الشرطة ، وهو يقول فى توتر :

ـ لماذا لم تطلق عليهم النار مباشرة ، بدلاً من هذا الأسلوب المعقّد ؟

أجابه (أدهم) ، وهو ينطلق بالسيارة :

ـ لم أجد داعيًا لقتلهم .

هتف (يائيل) فى دهشة مستنكرًا :

ـ لم تجد داعيًا لماذا ؟!.. متى يكون هناك داع فى رأيك ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ عندما لا تكون هناك وسيلة أخرى .

حدّق فيه (يائيل) لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ كنت أعلم أنه من العسير أن أفهمك .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ هذا أمر طبيعى ، فشخص مثلك ، اعتاد إراقة الدماء طوال عمره ، دون أن يطرف له جفن ، لن يمكنه استيعاب موقف كهذا أبدًا .

عقد (يائيل) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ يدهشنى أن يقول محترف مثلك هذا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ المفروض ألا يدهشك أى شىء فى عالمنا .

تنهّد (يائيل) ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، وبالذات بعدما حدث من رفاقى السابقين .

ران عليهما الصمت لحظات ، بعد هذه العبارة ، وتناهى إلى مسامعهما دوى أبواق سيارات الشرطة ، التى تندفع إلى الفيلا ، فانحرف (أدهم) يمينًا ، وتجاوز شارعًا فرعيًا ، قبل أن يواصل انطلاقه فى شارع مواز للشارع الرئيسى ، فى نفس اللحظة التى اعتدل فيها (يائيل) ، وسأله بغتة :

ـ ما خطة فرارنا بالضبط ؟

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لماذا تريد أن تعرف ؟

أجابه فى عصبية :

ـ أليس هذا من حقى ؟!.. لقد أخبرت (نينا) تفاصيل خط سيرها ، على الرغم من أنها ليست إحدى العاملات فى جهاز المخابرات ، فكيف تكتم عنى خط سيرنا ؟!

صمت (أدهم) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ـ لدىّ أسبابى .

التقى حاجبا (يائيل) فى غضب ، وأشاح بوجهه بضع لحظات ، وهو يتابع الطريق ، ثم قال بغتة :

ـ يؤسفنى أنك لست ذكيًا كما تعتقد .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ حقًا ؟!

استدار إليه (يائيل) ، وهو يقول فى حدة :

ـ نعم .. حتى أنا يمكننى استنتاج وجهتنا ببساطة ، فمنذ غادرنا السفارة ، وأنت تنطلق دائمًا باتجاه الغرب .. أراهنك أن وسيلة هروبنا تنتظرنا عند خليج (فنزويلا) .. أليس كذلك ؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ يا للبراعة !

قال (يائيل) فى حدة :

ـ المشكلة أننى ما دمت قد توصلت إلى هذا ، فهم سيتوصلون إليه حتمًا ، وسيصبح هذا الاتجاه المباشر بالغ الخطورة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (بوناسيو) ، عبر جهاز اللاسلكى فى السيارة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ إلى جميع السيارات .. إلى جميع السيارات .. المطاردان نجحا فى الاستيلاء على واحدة من سياراتنا .. السيارة رقم (١٠٠٦) .. حددوا اتجاهها ، وتعاملوا معها على الفور .. الرجلان مسلحان وبالغا الخطورة ... أطلقوا عليهما النار على الفور ، أو انسفوا السيارة نفسها ، لو اقتضى الأمر .

عقد (يائيل) حاجبيه فى شدة ، فى حين قال (أدهم) ساخرًا :

ـ عظيم .. لقد أهدر كبير المفتشين دمنا ، وسيطاردنا الآن كل رجل شرطة فى (كراكس) .

غمغم (يائيل) متوترًا :

ـ وكل رجال (الموساد) .

هزّ (أدهم) كتفيه دون تعليق ، وهو ينطلق بالسيارة ، وكأنه لا يلقى بالاً للأمر ، فاستطرد (يائيل) فى عصبية :

ـ ألا يعنيك كل هذا ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ وما الذى ينبغى أن أفعله ؟.. هل أرتجف هلعًا ؟

أجاب (يائيل) فى حدة :

ـ أبدِ شيئًا من الاهتمام فحسب .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

التقى حاجبا (يائيل) فى شدة ، حتى كادا يمتزجان ، وهو يقول محتدًا :

ـ كم يدهشنى أنك تنتصر علينا دائمًا ، وأنك ..

انعقد حاجبا (أدهم) بشدة ، وهو يقول فى صرامة مباغتة :

ـ اصمت .

انتبه (يائيل) فى هذه اللحظة فقط ، إلى سيارتى الشرطة اللتين اعترضتا الطريق عند نهايته ، ووقف أمامهما شرطى ضخم ، يحمل على كتفه ذلك المدفع المضاد للدبابات ، ويصوبه إلى سيارتهما ، فهتف :

ـ سيطلق القذيفة نحونا .. احترس .. ابتعد بسرعة .. بسرعة .

هوى (أدهم) على فكه بلكمة مباغتة ، قائلاً فى صرامة :

ـ ابتعد أنت .

فقد (يائيل) وعيه على الفور ، من شدة اللكمة ، فى حين أضاء (أدهم) المصباحين القويين للسيارة ، وهو يقول :

ـ هيا أيها الشرطى .. أطلق قذيفتك .

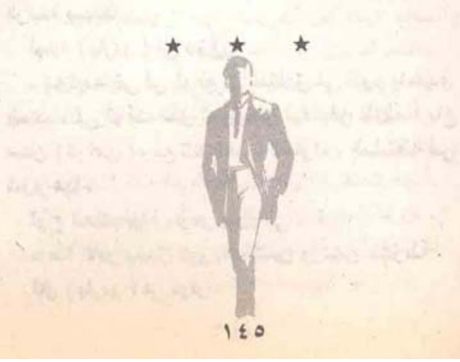
بهر الضوء القوى عيون رجال الشرطة فى السيارتين ، إلا أن حامل المدفع المضاد للدبّابات أغلق عينيه قليلاً ، وصوّب مدفعه إلى المسافة بين المصباحين .. وأطلقه ..

وفى هذه المرة أصابت القذيفة هدفها ..

وانفجرت السيارة ..

وكان أعنف انفجار شهدته (كراكس) فى تلك الليلة .. أعنفها على الإطلاق .

* * *



١٠ ـ خدعة محترف ..

(كراكس) .. الثانى عشر من يوليو ..

الرابعة صباحًا ..

انعقد حاجبا حاكم (كراكس) ، وهو يعقد حزام معطفه المنزلى ، ويدلف إلى حجرة مكتبه ، فنهض المفتش (باردو) واقفًا ، والحاكم يقول فى غضب :

ـ أتعرف كم الساعة الآن أيها المفتش ؟!.. آمل أن يكون ما لديك من الأهمية ، بحيث يستحق إيقاظى فى الرابعة صباحًا .

أجابه (باردو) فى ضيق :

ـ إنه ليدهشنى فى الواقع أن تستغرق فى النوم يا سيّدى الحاكم ، فى الوقت الذى لم يغمض فيه جفن لثلاثة أرباع سكان (كراكس) ، مع تلك الحرب الشعواء ، المشتعلة فى شوارعها .

لوّح الحاكم بيده ، وهو يقول فى حدة :

ـ هذا الأمر يخص كبير المفتشين ورئيس الشرطة .

قال (باردو) فى توتر :

ـ وماذا عنك يا سيادة الحاكم ؟!.. ألم تطلب توضيحًا للموقف ؟!.. ألم تلق سؤالاً واحدًا ، عن هؤلاء الأجانب ، الذين يشتركون مع رجال الشرطة فى مطاردة عنيفة ، هى السبب فى كل ما يحدث ؟!

سأله الحاكم فى حذر متوتر :

ـ الأجانب ؟!.. أى أجانب ؟

كان (باردو) ينوى الدوران حول الحقيقة التى يعلمها جيدًا ، لذا فقد أدهشه هو نفسه أن أجاب فى وضوح ، وباندفاع سبق لسانه فيه عقله :

ـ الإسرائيليون .

وكان من الواضح أن الحاكم لم يكن يتوقّع قط مثل هذا الجواب المباشر ، فقد شحب وجهه ، وارتجفت أطرافه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يتمتم مرتبكًا :

ـ الاسرائيليون ؟!.. وما شأنهم بنا ؟

عقد (باردو) ساعديه أمام صدره ، وهو يسأل :

ـ حسن .. ما الذى تنوى أن تفعله الآن يا سيّدى الحاكم ؟

حدّجه الحاكم بنظرة صامتة طويلة ، ثم تنحنح قائلاً :

ـ كل ما ينبغى أيها المفتش .. كل ما ينبغى .

ثم تنحنح مرة أخرى ، ووضع يده على كتف المفتش ، وهو يقوده إلى الباب ، مستطردًا :

ـ إننى أشكر لك أمانتك وإخلاصك أيها المفتش ، والواقع أننا بحاجة إلى أمثالك ؛ لنشعر بالأمن والأمان فى وطننا .. أشكرك كثيرًا .

تطلّع إليه (باردو) لحظات بنظرة خاوية ، قبل أن يسأل :

ـ أهناك ما يمكننى فعله ؟

لوّح الحاكم بيده ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ كلا يا رجل .. إنك مرهق ، وتحتاج إلى نوم عميق .. عد إلى منزلك ، وسنتولّى نحن الأمر ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

ثم ربّت على كتفه ، مستطردًا بحماس مصطنع :

ـ وثق بأننى سأوصى بترقيتك .

رمقه (باردو) بنظرة صامتة ، ثم قال :

ـ فليكن يا سيادة الحاكم .. لقد أديت واجبى .

ربّت الحاكم على كتفه مرة أخرى ، قائلا :

ـ بالطبع .. بالطبع يا رجل .

ولم يكد (باردو) ينصرف ، حتى انعقد حاجبا الحاكم ، وضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا فى حنق :

ـ الأغبياء .. لقد تمادوا فى تدخلهم ، حتى أفسدوا كل شىء .

ثم التقط هاتفه ، وطلب رقم رئيس الشرطة ، ولم يكد يسمع صوته ، على الجانب الآخر ، حتى قال فى عصبية :

ـ إنه أنا .. الحاكم أيها السخيف .. نعم .. أعرف كم الساعة الآن ، ولكن الأمر لا يمكن تأجيله .. هيا .. انهض من فراشك ، وارتد ثيابك ، وانطلق على الفور إلى حيث هؤلاء الأجانب الحمقى ، وأخبرهم أن اتفاقنا معهم لاغٍ ، وأنهم تمادوا كثيرًا ، ولن نتعاون معهم بعد الآن .. نعم .. لو أرادوا أن يواصلوا ، فليواصلوا وحدهم ، دون سند قانونى .. هذا كل ما يمكننا أن نفعله .

قالها ، وأنهى المحادثة فى عنف ، فى نفس اللحظة التى أدار فيها المفتش (باردو) محرّك سيارته ، وهو يقول لنفسه :

ـ أعتقد أننى لم أكن مبالغًا ، عندما دسست جهاز التنصت الصغير فى هاتف الحاكم .. ربّاه !.. القضية أضخم مما كنت أتصوّر .. أضخم بكثير .

ثم انطلق بسيارته ، مستطردًا :

ـ وهذا يعنى أن هذه الليلة لن تنتهى بسهولة .

قالها وهو يعتقد فى أعماقه أن الأمر قد لا يقتصر على ألا تنتهى هذه الليلة الطويلة فى سهولة ، بل قد يمتدّ إلى أنها لن تنتهى ..

لن تنتهى أبدًا ..

* * *

توقّفت سيارة المراقبة الأمريكية ، على مسافة عشرة أمتار من سيارة الشرطة ، التى كان يستقلّها (أدهم) و (يائيل) ، والتى تحطّمت تمامًا ، وتحوّلت إلى كتلة من الفحم ، وهبط (جير) بصحبة (جولهى) من سيارة المراقبة ، واتجه إلى حيث يقف (دار) و (بوناسيو) ، فاستقبلهما الأخير فى عصبية ، قائلا :

ـ مرحى .. إذن فالأمريكيون أيضًا قرّروا خوض اللعبة .. يا لسعادتى !.. هذا يعنى أن كل ما مررنا به لم يكن سوى عبث بسيط ، بالنسبة لما ينبغى أن نتوقّعه ..

تجاهله (جير) بأسلوب مستفز ، وهو يسأل (دار) :

ـ ماذا حدث ؟

أشار (دار) إلى السيارة المحترقة ، قائلا :

ـ ما تراه أمامك .

ألقى (جير) نظرة سريعة على حطام السيارة ، ثم قال فى برود :

ـ كيف ؟

روى له (دار) كل ما سمعه من الشرطى ، الذى أطلق القذيفة المضادة للدبابات على السيارة ، ثم ضاقت عيناه ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ إذن فقد استخدم (أدهم) الضوء الساطع ، قبل الانفجار مباشرة .

قال (دار) فى حذر :

ـ أيعنى هذا شيئًا محدودًا ؟

أجابه (جير) فى لا مبالاة :

ـ نعم .. يعنى الكثير .

ثم أدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يضيف :

ـ وسيعاوننا الكمبيوتر على تحديد الموقف كله .

قالها ، واستدار عائدًا لسيارة المراقبة ، فأمسك (دار) ذراع (جولهى) ، وسأله فى توتر عصبى :

ـ من أين أتيت به ؟

أجابه (جولهى) متنهدًا :

ـ هو الذى أتى بى .

ثم أضاف ، وهو يزيح أصابع (دار) .

ـ المهم أن نستفيد بما لديه من إمكانات .

واتجه نحو سيارة المراقبة ، فتنحنح (دار) ، ثم لحق به بدوره ..

وفى السيارة ، كان (جير) يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، ويضيف إليه المعلومات الأخيرة ، فسأله (دار) :

ـ أنت تعتقد أنه لم يلق مصرعه .. أليس كذلك ؟!

أجابه (جير) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ بل أنا واثق من هذا .. لقد استخدم الضوء الساطع ليبهر الشرطى ، ويمنعه من رؤيته ، وهو يقفز من السيارة

مع (يائيل) ، ولقد أطلق ذلك الغبى قذيفته نحو السيارة ، ونسفها ، دون أن يدرى أنهما هربا منها ، واختفيا بين النباتات .

هتف (دار) :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

التفت إليه (جير) ، يسأله فى سخرية :

ـ وماذا فعلت ، عندما علمت هذا ؟

قال (دار) فى حدة :

ـ سأفتش المنطقة كلها شبرًا شبرًا ، و ...

قاطعه صوت (بوناسيو) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لست أعتقد هذا ممكنًا الآن يا سادة .. لقد جاء رئيس الشرطة إلى هنا الآن ، وألقى أمرًا واحدًا صارمًا ، ثم انصرف دون أن يمنحنا فرصة لمناقشته .

وتضاعفت عصبيته ، وهو يضيف :

ـ لقد أمر بعدم التعاون معكم بعد هذه اللحظة بصورة واضحة ، فقد استفزّ تماديكم الجميع ، وأصبح الأمر بالغ الخطورة .

صاح (دار) فى وجهه غاضبًا :

ـ ولكنكم تقاضيتم جميعًا ثمن هذا .

احتقن وجه (بوناسيو) بشدة ، وهو يقول :

ـ ربما كان هذا هو السبب .

ثم تراجع فى حدة ، وصاح فى رجاله :

ـ هيا يا رجال .. سننصرف جميعًا من هنا .. ارفعوا حطام السيارة .. لقد انتهت العملية ، ولقى الهاربان مصرعهما رسميًا .. هيا .

قال (دار) فى غضب :

ـ الأوغاد !!.. لقد تخلّوا عنا .

مطّ (جير) شفتيه ، وهو يقول :

ـ غباؤك هو الذى دفعهم إلى هذا .

التفت إليه (دار) ، قائلا فى حدة :

ـ مستر (جير) .. صحيح أن جهاز مخابراتنا يتعاون مع جهاز مخابراتكم ، ولكن هذا لا يمنحنا الحق فى ...

قاطعه (جير) فى برود ، وكأنه لم يسمع عبارته :

ـ لقد تصوّرتِ أن ما تدفعه لهم حكومتك من رشاوى ، تمنحك حق التحكّم فيهم ، والتمادى معهم إلى حد يحرجهم ويضعهم أمام شعبهم ، فى موقف شديد الحساسية .. المفروض أن تدرك أن هذا هو أسوأ ما يمكنك أن تفعله .. أن تبرز التعاون فى وضوح ، ومشكلتك أنك لم تمتلك خبرة كافية فى مثل هذه الأمور .. أنت مجرّد قاتل محترف سابق ، فى فرقة الاغتيالات فى (الموساد) ، اعتدت أن تتعامل مباشرة ، دون محاورات أو مناورات .

قال (دار) فى سخرية عصبية :

ـ امنحنا خبرتك أنت أيها العبقرى .

ابتسم (جير) فى سخرية ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

ـ هذا ما أنوى فعله يا عزيزى .

ثم انحنى على جهاز الكمبيوتر ، مستطردًا :

ـ لقد غذيت هذا الجهاز بكل ما حدث الليلة .. كل المواقع والأحداث والتفاصيل ، ثم أضفت إليه برنامجًا من مكتبتنا الخاصة ، وضعناه لدراسة وتحليل شخصية وأسلوب وعمليات رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى) ، وللتنبوء بخطواته القادمة ، فى كل عملية جديدة ، وبنسبة خطأ لا تتجاوز الواحد فى الألف .

غمغم (جولهى) فى ارتياح :

ـ هذه هى التكنولوجيا الأمريكية التى نعرفها .

عقد (دار) حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين ابتسم (جير) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ ولقد أشار الكمبيوتر إلى أن تحركات (أدهم صبرى) ، فى هذه الليلة ، توحى بأنه فى طريقه إلى خليج (فنزويلا) .

مطّ (دار) شفتيه ، قائلاً :

ـ لم يكن الأمر فى حاجة إلى كمبيوتر خاص لاستنتاج هذا .

التفت إليه (جير) مبتسمًا ، وهو يسأله :

ـ هل استنتجت هذا بالفعل ؟

هزّ (دار) كتفيه ، مجيبًا :

ـ بالطبع .. كل الدلائل كانت تشير إلى هذا ، و ...

قاطعه (جير) بصرامة مباغتة :

ـ والكمبيوتر يقول : إن هذا الاستنتاج ساذج للغاية .

انعقد حاجبا (دار) فى توتر ، و (جير) يتابع :

ـ ويؤكّد أيضًا أنها خدعة مدروسة من (أدهم صبرى) ؛ ليقود تفكيركم جميعًا إلى الشرق ، فى حين يخطّط هو فعليًا للانطلاق إلى الغرب .

ثم أشار إلى خريطة ، ارتسمت على شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا فى حزم :

ـ إلى (كومانا) .

انعقدت حواجب الجميع ، وهم يتطلّعون إلى تلك البقعة على الشاشة ، وسؤال واحد يملأ عقولهم ..

هل أصاب الكمبيوتر فى استنتاجه هذه المرة ؟!..

هل ؟!..

★ ★ ★

انتفض (يائيل) فى فراشه ، وفتح عينيه بغتة ، وراح يحدّق فى المكان الذى يرقد فيه بدهشة بالغة ..

كان آخر ما يذكره هو وجوده داخل سيارة ، ينطلق بها (أدهم) نحو اثنتين من سيارات الشرطة ، تعترضان الطريق ، وشرطى يصوّب مدفعًا مضادًا للدبابات ..

ثم تنتهى ذاكرته بغتة ، عند هذه النقطة ..

كان يشعر بإرهاق شديد ، وبرغبة لا محدودة فى النوم ، حتى أنه لم يدر كيف استعاد وعيه على هذا النحو ..

ولا كيف وجد نفسه فى هذا المكان ..

لقد استيقظ ليجد نفسه راقدًا فوق فراش وثير ، داخل حجرة أنيقة ، وقد تم تضميد جراحه بشاش نظيف معقّم ، ووضع عليه بعضهم ثوب نوم نظيفًا ..

وفى دهشة ، ألقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والربع صباحًا ، ثم غادر فراشه ، وفتح باب الحجرة ، و ...

واتسعت عيناه فى دهشة ..

لقد وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى يجلس فى صالة المنزل ، وقد انهمك فى صنع شىء ما ، بدا له أشبه بتمثال نصفى لشخص ما ..

وقبل أن يتنحنح أو يصدر عنه أدنى صوت ، التفت إليه (أدهم) ، وكأنما انتبه إلى وجوده بغريزته فحسب ، وقال :

لقد وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى يجلس فى صالة المنزل ، وقد انهمك فى صنع شىء ما ..

ـ هل استيقظت بهذه السرعة ؟!.. كان المفروض أن تحظى بقدر أكبر من النوم .

اتجه إليه (يائيل) ، وهو يسأله :

ـ أين نحن بالضبط ؟

أجابه (أدهم) فى بساطة ، وهو يعاود عمله :

ـ فى منزل آمن آخر .

جلس (يائيل) يراقبه ، وهو يسأل :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه (أدهم) :

ـ لقد قفزنا من السيارة ، قبل أن تنسفها القنبلة بلحظات ، وحملتك على كتفى إلى هنا .

ارتفع حاجبا (يائيل) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ بهذه السهولة ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو منهمك فى عمله :

ـ نعم .. بهذه السهولة .

راقبه (يائيل) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ رباه .. هذا التمثال لى .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ نعم .. إننى أصنع قناعًا يناسب وجهك .

سأله فى دهشة :

ـ وهل صنعت هذا التمثال بنفسك ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب :

ـ كلاّ .. لقد حصلت على طبعة لوجهك ، فى أثناء استغراقك فى النوم .

بدت الدهشة على وجه (يائيل) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ ولماذا تصنع قناعًا يناسبنى ؟

اعتدل (أدهم) ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت ، ثم أجاب :

ـ سيساعدك هذا على الخروج من هنا .

قال (يائيل) متوترًا :

ـ عن طريق خليج (فنزويلا) ؟!

بدت له ملامح (أدهم) جامدة ، خالية من أى تعبير ، وهو يقول :

ـ ربّما !

انعقد حاجبا (يائيل) طويلاً ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ اسمع يا سيّد (أدهم) .. أعرف أن طبيعة عمل المخابرات تمنعك من شرح تفاصيل الخطة لى ، إلا أن هذا لا يمنعنى من التفكير فى الأمر ، والتوصُّل إلى بعض النتائج ، باستنتاجاتى الشخصية .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ وما النتائج التى أوصلتك إليها استنتاجاتك ؟

أجابه (يائيل) فى انفعال :

ـ الدلائل المباشرة تشير إلى أنك تنوى الفرار عن طريق خليج (فنزويلا) ، إلا أن طبيعتك ، التى درسناها فى (الموساد) ، تؤكّد أن هذا مجرّد خدعة ، وأنك توحى بهذا فحسب ، فى حين تنوى اتخاذ سبيل مخالف تمامًا .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟

مال (يائيل) نحوه ، قائلاً :

ـ (كومانا) مثلاً .

هزّ (أدهم) رأسه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ اقتراح مناسب .

تطلّع (يائيل) إلى ملامحه الجامدة طويلاً ، محاولاً أن يستشف منها الجواب ، فلما عجز عن هذا ، قال فى حدة :

ـ أهذا طريقنا بالفعل ؟

التفت (أدهم) إلى عمله ثانية ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ ربما !

احتقن وجه (يائيل) فى غضب ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفعت دقات منتظمة على باب الشقة ، فهبّ (يائيل) من مقعده ، هاتفًا :

ـ من يأتى فى مثل هذا الوقت ؟

التقى حاجبا (أدهم) ، وهو يستلّ مسدسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى ، ولكن الإشارة صحيحة .

واتجه إلى الباب ، وهو يسأل بصوت يخالف تمامًا صوته الحقيقى :

ـ من بالباب ؟

أتاه صوت مألوف ، يقول :

ـ أنا بائع الصحف .. هل قرأت جريدة (الأهرام) مؤخّرًا ؟

أجاب (أدهم) ، وهو يفتح الباب :

ـ بالطبع .. إنها جريدتى المفضّلة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما دلف الملحق العسكرى بسرعة إلى الشقة ، وسأله فى توتر :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟.. المفروض أن تكون الآن فى (ترنداد) ، مع (نينا) ؟

أجابه الملحق العسكرى فى سرعة :

ـ (نينا) هربت .

اتسعت عينا (يائيل) ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ هربت ؟!.. (نينا) هربت ؟!

أجاب الملحق العسكرى متوترًا :

ـ نعم .. لقد وصلنا بسلام إلى الميناء المهجور ، وكان المفروض أن نستقل الزورق معًا إلى (ترنداد) ، ولكننى عدت إلى السيارة ، فوجدتها قد اختفت ، وأنا أبحث عنها ، مع عدد من رجالنا ، منذ ذلك الحين وحتى الآن ، وعندما فشلنا فى العثور عليها ، أتيت إلى هنا ، طبقًا للأوامر .

انقضّ عليه (يائيل) فى ثورة ، هاتفًا :

ـ إذن فقد فقدتم (نينا) .. فقدتم المرأة الوحيدة التى أحببتها ، فى حياتى كلها .. سوف أقتلك .. سوف أقتلكم جميعًا .

أمسكه (أدهم) فى قوة ، وهو يقول :

ـ مهلاً يا رجل .. لا تفقد أعصابك ، فتخسر كل شىء .

قال (يائيل) فى عصبية :

ـ ولكنهم فقدوا (نينا) .. حبيبتى (نينا) .

صاح فيه (أدهم) فى صرامة :

ـ تمالك أعصابك .

التفت إليه (يائيل) فى حدة ، وارتجفت شفتاه بضع لحظات ، قبل أن يخفض عينيه ، ويغمغم فى انهيار :

ـ لن يمكننى احتمال فقدها أبدًا .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ لقد هربت بإرادتها ، ولم يختطفها أحد .. تمالك أعصابك ، وسنستعيدها بإذن اللّه .

ثم أشار إلى الملحق العسكرى ، مستطردًا :

ـ اجلس يا رجل ، وقصّ علىّ كل شىء .. وبأدق التفاصيل .

وجلس الملحق العسكرى ..

وراح يروى ما حدث ..

وبأدق التفاصيل ..

★ ★ ★

فرك (جير) عينيه ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، فى سيارة المراقبة ، والتفت إلى (دار) و (جولهى) ، قائلاً :

ـ كل الدلائل تشير إلى أن (أدهم) و(يائيل) لم يغادرا (كراكس) بعد .. لقد طلبت من رجالنا مراقبة كل المداخل والمخارج ، وطرق المواصلات الرسمية والجانبية ، والميناء والمطار ، وكلهم أكّدوا أن أحدًا له مقاييسهما لم يغادر العاصمة قط ، حتى هذه اللحظة .

قال (دار) فى انفعال :

ـ إذن فهما بالداخل ، ويمكننا تفتيش كل منزل هنا ، حتى نعثر عليهما .

مطّ (جير) شفتيه ، وهو يقول :

ـ ما زلت غبيًّا .

انعقد حاجبا (دار) فى غضب ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن (جير) تابع بسرعة :

ـ ألم تدرك بعد أن (بوتلسيو) والحاكم ورئيس الشرطة قد تخلّوا عنكما ؟!..

كيف يمكنكم تفتيش العاصمة كلها دون معاونتهم ؟

قال (دار) فى حدة :

ـ هؤلاء الأوغاد يستحقون القتل .

أشار (جير) بيده ، قائلاً :

ـ أتفق معك تمامًا فى هذا الأمر ، ولكننا لا نستطيع قتلهم ، لذا فعلينا أن نبحث عن حل عملى ، لإخراج الرجلين من مكمنهما .

قال (جولهى) فى اهتمام :

ـ وكيف يمكننا هذا ؟

لوّح (جير) بيده ، قائلاً :

ـ إننا نبحث عن الوسيلة .

انعقد حاجبا (دار) فى تفكير عميق ، ثم قال فى اهتمام :

ـ ماذا لو أننا تظاهرنا بالتوقّف عن البحث ؟

رمقه (جير) بنظرة قصيرة ، ثم مال نحوه ، يسأله فى شىء من السخرية :

ـ أخبرنى يا (دار) .. كيف أقنعتهم بإسناد هذه العملية إليك ؟

أجاب (جولهى) فى سرعة :

ـ لم يعد الأمر كذلك .

التفت إليه (شيمون دار) بحركة عنيفة ، قائلاً فى حدة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (جولهى) فى هدوء :

ـ لقد أسندوا إليك العملية فى البداية ؛ لأنها لم تكن تتجاوز عملية اغتيال عادية .. (يائيل) يقتل (ستاسى) ، وأنت تقتله ، وينتهى الأمر .

انعقد حاجبا (جير) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أهذا ما حدث ؟

احتقن وجه (دار) ، وهتف محنقًا :

ـ أيها الغبى .. كيف جرؤت ..

قاطعه (جولهى) بصيحة هادرة صارمة :

ـ اصمت .. لا تتحدّث مع رئيسك بهذا الأسلوب .

تراجع (دار) كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ رئيسى ؟!

أجابه (جولهى) فى صرامة :

ـ نعم .. رئيسك اعتبارًا من هذه اللحظة يا (شيمون) .. لقد منحك الرؤساء فرصة العمل ، قبل أن يعلموا أن (أدهم صبرى) نفسه سيتولّى الأمر ، ووجوده يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ، فلست تمتلك الخبرة اللازمة للتعامل مع رجل مثله .

ابتسم (جير) ، وهو يقول ساخرًا :

ـ ولا مع أى رجل آخر .

رمقه (دار) بنظرة نارية ، وسيطر على أعصابه الثائرة بكل قوته ، وهو يقول :

ـ فليكن يا (جولهى) .. لا يهمّ من يقود المهمة .. المهم أن تنفذها بنجاح فى النهاية .

ابتسم (جولهى) فى ظفر ، قائلاً :

ـ بالضبط .

همّ (جير) بقول شىء ما ، عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال بغتة ، فضغط زرًّا صغيرًا ، ووضع المسماع على أذنيه ، واستمع إلى محدّثه فى اهتمام بالغ ، قبل أن يهتف فى انفعال :

ـ حقًّا ؟!

سأله (دار) فى لهفة :

ـ ما الذى حدث بالضبط ؟

أشار إليه بالصمت ، وهو يستمع مرة أخرى فى اهتمام ، وعيناه تبرقان فى ظفر ، قبل أن يقول :

ـ بالطبع .. بالطبع .. ستحصل على مكافأة إضافية سخية .

وأنهى الاتصال ، وهو يقول فى حماس :

ـ أخيرًا أيها السادة .

سأله (جولهى) :

ـ ما الذى حصلنا عليه بالضبط ؟

أشار (جير) بسبّابته ، مجيبًا فى جذل :

ـ حصلنا على المفتاح اللازم لفتح وكر (أدهم) و(يائيل) يا رجل .

وأطلّت من عينيه ضحكة ظافرة ، مع استطرادته .

ـ المفتاح المثالى .

وانتقلت الضحكة من عينيه إلى شفتيه .. بل إلى كيانه كله .

★ ★ ★

١١ ـ الرهينة ..

(كراكس) .. الثانى عشر من يوليو ..
الرابعة وأربعون دقيقة صباحًا ..
فركت (نينا شيريدان) كفيها فى عصبيـة ، وتثـاءبت فى إرهـاق ، وهـى تجلس فى مقر الجريـدة السياسـية الأولى فى المدينة ، واستدارت تسأل محرّر الطوارئ فى توتر بالغ :
ـ هل اتصلت بأحد المسئولين بالفعل ؟
أجابها المحرّر فى هدوء عجيب :
ـ اطمئنى يا سيّدتى .. لقد اتصلت بنائب رئيس التحرير ، وسيصل بعد قليل .. هل تريدين بعض القهوة ؟!
أومأت برأسها إيجابًا ، مغمغمة :
ـ نعم .. أرجوك .
صبّ قدحًا من القهوة ، وناولها إياه ، قائلاً :
ـ لقد أثار الأمر اهتمامهم بشدة ، عندما أخبرتهم أنـه يتعلّق باغتيال السيناتور (ستامس) ..
ارتشفت القهوة ، متمتمة فى إرهاق :

ـ هذا صحيح .
سألها فى اهتمام :
ـ هل تعرفين من اغتاله ؟!
أومأت برأسها إيجابًا ، وارتشفت رشفة أخرى من القهوة ، قبل أن تجيب فى حذر :
ـ نعم .. أعرفه .
تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم سألها :
ـ ولماذا لم تبلغى الشرطة ؟!
أجابته بنفس الحذر :
ـ الأمر به تعقيدات كثيرة .
هزّ رأسه ، قائلاً :
ـ آه .. فهمت .
ثم عاد يسترخى فى مقعده ، ويسبل جفنيه ، متمتمًا :
ـ لقد اعتدت مثل هذه الأمور .
لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الداخلى ، فاعتدل يختطف سمّاعته فى سرعة ، وهو يقول :
ـ من المتحدّث ؟
واستمع إلى محدّثه فى اهتمام ، قبل أن يضيف :
ـ حسن .. إننى أنتظرك .
ونهض من مقعده فى حماس عجيب ، وهو يعيد السمّاعة إلى موضعها ، فسألته (نينا) :

ـ أهو نائب رئيس التحرير ؟
أجابها ، وهو يندفع نحو الباب :
ـ نعم .. إنه هو .
تنهّدت فى ارتياح ، واسترخت فى مقعدها ، ترتشف بقايا قدح القهوة ، وتتطلّع إلى الجدار الزجاجى نصف الشفاف ، الذى يفصلها عن صالة التحرير ..
ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى شاهدت ظل أحد رجال الأمن ، وهو يقود رجلاً إلى الصالة ، فيتجه نحوه ظلّ محرّر الطوارئ ، وينهمكان فى حديث قصير ، بعد انسحاب رجل الأمن ، ثم ناول ذلك الرجل للمحرّر مظروفًا ، و ...
وفجأة ، انتفض جسدها فى عنف ..
لو أن هذا القادم هو نائب رئيس التحرير ، فلماذا تحدّث هاتفيًا ، قبل أن يأتى ؟!..
ولماذا يقوده أحد رجال أمن الجريدة ؟..
ثم ما ذلك الشىء ، الذى أعطاه لمحرّر الطوارئ ؟!..
استيقظ عقلها بغتة ، واستوعب الموقف كله ، فسقط قدح القهوة من يدها ، وهى تشهق هاتفة :
ـ رباه !
رأت الظلين يتحركان فى سرعة ، مع صوت سقوط القدح ، فقفزت من مقعدها ، وانطلقت تعدو نحو الشرفة ،

فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجل أمريكى المكان ، وهتف بها :
ـ توقّفى .
خفق قلبها فى عنف ، وزادت من سرعتها ، وانطلق الأمريكى خلفها ، وراحا يعدوان فى الشرفة الخارجية ، وهى تهتف :
ـ النجدة .. النجدة .. أنقذونى .
ثم انحرفت إلى أوّل مدخل صادفها ، و ...
ووجدت نفسها بين ذراعى أحد رجال أمن الجريدة ..
وفى هلع ، هتفت :
ـ النجدة .. هناك رجل يطاردنى ، و ...
بترت عبارتها ، وانتفض جسدها فى هلع وذعر ، مع تلك النظرة القاسية الصارمة ، التى أطلّت من عينى رجل الأمن ، فحاولت التملّص منه ، صائحة :
ـ لا .. أنت لست رجل أمن حقيقيًا .. لست ..
قبل أن تتمّ عبارتها ، أحاطت يد بفمها من الخلف ، واستنشقت رائحة نفّاذة قوية ، و ...
وانتهى الأمر ..
انتهى فى لحظة واحدة ..

★ ★ ★

أعاد (أدهم) سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يعقد حاجبيه ، ويقول فى حزم :

ـ لم يتمّ العثور عليها بعد ، ولكن رجالنا انتشروا فى العاصمة ، وسيبذلون قصارى جهدهم للبحث عنها .

تضاعف توتر (يائيل) ، وهو يقول :

ـ ماذا أصابها ؟!.. رباه !.. ماذا أصابها ؟!

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً :

ـ توترك لن يفيد .. حاول أن تهدأ ، وأن تفكّر بتركيز ، و ...

قاطعه (يائيل) فى مرارة :

ـ لن يمكنك أن تستوعب هذا الشعور ؛ لأنك لم تمرّ به قط من قبل .

لم يعلّق (أدهم) على العبارة ، على الرغم من المرارة التى اعتصرت قلبه ، عندما نطق بها (يائيل) ..

ويا لسخرية العبارة !..

هو بالذات يتصوّر (يائيل) أنه لم يمرّ بهذا الشعور من قبل قط ..

هذا لأنه لا يعلم شيئًا عن حقيقة قلبه ومشاعره ..

لا يعلم بأمر تلك العاطفة القوية ، التى تربط قلبه بقلب (منى) ..

ذلك الحب النادر العظيم ، الذى جمع قلبيهما ، حتى وهى فى أعماق غيبوبتها الطويلة(*) ..

لا يعرف كم تمزّق أكثر من مرة ، عندما كان أعداؤه يختطفونها ، أو يسيطرون عليها ؛ لهزيمته والقضاء عليه ..

لا أحد فى العالم كله يمكنه أن يتصوّر شعوره ، عندما أصابها ما أصابها ، وسقطت فى تلك الغيبوبة ، التى حرمته منها ..

لا أحد يفهم أو يدرك عذابه ومرارته ، عندما فقد ابنه(*) ..

لا أحد يفهم ، أو يمكن أن يفهم ..

لا أحد ..

وربما لا يشعر أحد ، أو يدرك ، أو يفهم ، لأنه يسيطر دائمًا على مشاعره وانفعالاته بإرادة فولاذية ، كما فعل فى تلك اللحظة ، وهو يجيب (يائيل) :

ـ المهم أن نبذل قصارى جهدنا .

ثم أخرج من جيبه صورة كبيرة لشيخ أشيب الشعر واللحية والشارب ، متغضّن الوجه ، وضعها أمامه ، وراح يمزج بعض المواد فى وعاء كبير ، ويدهن بها طبعة الوجه ، التى صنعها لتشبه (يائيل) ، الذى قال فى حدة :

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) ... المغامرة رقم (١٠٠) .

ـ هل ستكتفى بهذا العمل السخيف ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ هذا العمل السخيف هو أساس خطتنا .

صاح (يائيل) :

ـ أية خطة ؟!.. لن ننفذ أية خطة ، إلا بعد عودة (نينا) .

التفت إليه (أدهم) فى صرامة ، قائلاً :

ـ هناك أكثر من عشرة رجال يبحثون عن (نينا) الآن ، ولقد هربت بإرادتها ، ولم تلتزم بالخطة ، ولن يفسد عملها الأخرق هذا خطتنا .

صاح (يائيل) :

ـ أية خطة هذه ؟!.. لا أحد يعرف هذه الخطة سواك .. إنها مدفونة فى عقلك وحده .. ثم ما صلة الخطة بصورة شيخ مأفون كهذا ؟

أجابه (أدهم) صارمًا :

ـ هذا الشيخ المأفون هو الذى سيخرجك من هنا .

قال (يائيل) فى عناد :

ـ ليس قبل عودة (نينا) .

لم يكد (يائيل) ينطقها ، حتى تحرّك (أدهم) فى سرعة وجذبه من قميصه ، ثم دفعه نحو الجدار ، حتى ارتطم

به ، ورفعه من القميص إلى أعلى ، فاتسعت عينا (يائيل) فى دهشة ، وقدماه تضربان الهواء ، فى محاولة للهبوط إلى الأرض ، فى حين انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة لا قبل له بها ، وهو يقول :

ـ اسمعنى جيدًا يا (يائيل) .. أكثر من عشرة رجال يجازفون بحياتهم ، ويخاطرون بأرواحهم ؛ ليضمنوا سلامتك وأمنك ، ويبذلون قصارى جهدهم لمعاونتك على الخروج من هنا ، والوصول إلى (مصر) ، ولن أسمح لك بإفساد هذه الخطة قط .. ستلتزم بكل خطوة فيها ، وتخضع لكل مرحلة ، وتترك الباقى لنا .. هل تفهم ؟

حرّك (يائيل) قدميه مرة أخرى ، وارتجف قلبه ، عندما أدرك أن (أدهم) يرفعه عن الأرض بيد واحدة بالفعل ، وارتجفت الدماء فى عروقه ، مع نظرته القوية ولهجته الصارمة ، مما جعله يغمغم ، فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

ـ وماذا عن (نينا) ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ أنا المسئول عن سلامتها .

ارتجفت شفتا (يائيل) لحظات ، قبل أن يخفض عينيه ، متمتمًا :

ـ فليكن .
تركه (أدهم) يهبط على قدميه ، وهو يقول :
ـ هذا أفضل .
ثم عاد يواصل عمله فى هدوء عجيب ، وكأنه لم يتصرّف بمنتهى العنف ، منذ لحظة واحدة ..
وفى دهشة ، تطلّع إليه (يائيل) ، وتساءل فى أعماقه ..
أى نوع من الرجال هذا ؟!..
بل أى نوع من البشر ؟!..
لقد درس ملفه طوال ثلاث سنوات ، وعرف عنه الكثير والكثير ..
وتصوّر أنه يفهمه تمامًا ..
حتى التقى به ..
لقد كشف لحظتها أن كل ما درسه لم يكن يساوى شيئًا ..
فالرجل أعظم مما تصوّر بكثير ..
صحيح أن دراسة شخصيته كانت ممتعة ..
ولكن مراقبته وهو يعمل ، هى المتعة نفسها ..
إنه شخص يجبرك على طاعته واحترامه ، حتى ولو كنت عدوه ..
شخص يستحق اللقب الذى يحمله ..

لقب (رجل المستحيل) ..
« هل سمعتما هذا ؟!.. » ..
اندفع الملحق العسكرى من الشرفة ، وهو يهتف بالعبارة ، فالتفتا إليه معًا ، وأرهف كل منهما أذنيه ، فتناهى إلى مسامعهما صوت يأتى عبر مكبّر صوت بعيد ، يقول بالعبرية :
ـ (نينا) لدينا .. اللقاء فى السادسة صباحًا .. الميناء القديم ..
انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين انتفض جسد (يائيل) فى غضب ، وهمّ بالاندفاع نحو الشرفة ، هاتفًا :
ـ يا للأوغاد !
ولكن (أدهم) وثب يمسكه فى حزم ، وهو يقول :
ـ انتظر يا رجل .. هذا ما يسعون إليه .. أن يدفعك الانفعال إلى كشف مخبئك وفضح أمرك بنفسك .
كان النداء يتردّد على نحو مستفز ، عبر بوق سيارة المراقبة الأمريكية ، التى تجوب شوارع (كراكس) ، فقال (يائيل) فى عصبية :
ـ لقد أمسكوا بها .. ألم تفهم ؟
قال (أدهم) فى صرامة :

ـ بل فهمت ، ولكن (نينا) ليست هدفهم الرئيسى ..
إنهم يريدونك أنت ، وما هى إلا وسيلة لصيدك ، فلا تمنحهم الفرصة لتحقيق مأربهم .
هتف (يائيل) فى مرارة :
ـ هل تريد منى أن أتخلّى عن (نينا) ؟
أجاب (أدهم) بسرعة :
ـ مطلقًا .. ولكننى لا أريد أن تبتلع الطعم بهذه السذاجة .
سأله فى مرارة ، وهو يسدّ أذنيه بكفيه ، فى محاولة لحجب ذلك النداء المتكرّر المستفز عنهما :
ـ ماذا أفعل إذن ؟.. ماذا أفعل مادمت لا أستطيع السعى لإنقاذها ، ولا أطيق البقاء ساكنًا ؟
أجابه (أدهم) فى حزم :
ـ تلتزم بالخطة ، وتترك لى أمر (نينا) .
هتف (يائيل) :
ـ مستحيل !.. لن أتخلّى عنها أبدًا .
أمسك (أدهم) كتفيه فجأة ، وهو يقول فى صرامة ، متطلّعًا إلى عينيه مباشرة :
ـ (يائيل) .. هل تثق بى ؟
شعر (يائيل) بالأصابع الفولاذية على كتفيه ، وتطلّع مبهوتًا إلى العينين الصارمتين ، بنظرتهما القوية العميقة ، وتمتم :

ـ نعم .. أثق بك تمامًا .
قالها ، وهو يعنى كل حرف منها بالفعل ، فترك (أدهم) كتفيه ، وقال :
ـ عظيم .
ثم اتجه إلى طبعة الوجه ، وعاد يصنع القناع المنشود بمنتهى الهدوء ، مستطردًا :
ـ التزم إذن بالخطة .
ولم يعترض (يائيل) هذه المرة ..
لم يعترض ، على الرغم من أنه ما زال يجهل كل شىء عن تلك الخطة ..
كل شىء ..

★ ★ ★

تقلّبت زوجة المفتش (باردو) فى فراشها ، وتحسّست موضع زوجها الخالى ، ثم اعتدلت جالسة ، وفتحت عينيها فى قلق ، ونهضت ترتدى معطفًا منزليًا رقيقًا ، لتتجه إلى الشرفة ، حيث وقف زوجها ، مستندًا إلى حاجز الشرفة ، فسألته فى قلق :
ـ ألن تنتهى هذه الليلة أبدًا ؟
أشار إليها بيده ، قائلًا :
ـ اصمتى واستمعى .

انتبهت لحظتها فقط إلى ذلك النداء ، الذى يتردّد من بعيد بلغة غريبة ، فسألته فى حيرة :

ـ ما هذا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .

ثم التفت إليها مستطردًا :

ـ ولكن لماذا فى رأيك تدور سيارة أجنبية فى قلب العاصمة ، فى الخامسة صباحًا ، لتردّد نداءً بلغة لا نفهمها ؟!

أرهفت السمع ، مغمغمة :

ـ تبدو لى كإحدى اللغات الشرقية .. العربية أو الفارسية(*) .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ بل هى العبرية .

سألته فى دهشة :

ـ وكيف عرفت هذا ؟

التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ لدى أسبابى .

(*) الفارسية : لغة إيرانية ، من الفصيلة الفرعية الهندية الإيرانية ، للغات الهندية الأوروبية .

ثم اندفع إلى مكتبه ، فسألته حائرة :

ـ ماذا ستفعل ؟

عاد يحمل جهاز التسجيل الصغير ، وهو يقول :

ـ أريد معرفة فحوى النداء ، وليست لدى وسيلة سوى تسجيله ، واستشارة شخص يفهم تلك اللغة .

سألته ، وهو يُسجّل النداء .

شخص مثل من ؟

أشار إليها بالصمت ، فلاذت به مرغمة ، والفضول يكاد يلتهمها ، وهو يسجّل النداء عدة مرات ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلًا :

ـ مثل (ماريوس) .. أمه كانت يهودية .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

عاد إلى الداخل ، واتجه إلى الهاتف مباشرة ، فقالت مستنكرة :

ـ هل ستتصل به الآن ؟

أجاب وهو يضغط أزرار الهاتف :

ـ بالتأكيد .. إنه يستيقظ دائمًا متأخرًا ، ولن يضيره أن يستيقظ مرّة واحدة مبكرًا .

سألته فى حرج :

ـ ولماذا لا تنتظر حتى الصباح ؟

أشار بإبهامه ، قائلًا :

ـ لأن الأشخاص الذين يستخدمون مكبّرًا للصوت ، لنشر نداء ما فى المدينة ، فى الخامسة صباحًا ، يعلمون جيدًا أن الأمور لا تحتمل الانتظار حتى شروق الشمس .

ثم اعتصر سمّاعة الهاتف بأصابعه ، قائلًا :

ـ صباح الخير يا (ماريوس) .. أنا (باردو) .. نعم .. أعلم كم الساعة الآن .. اخرس ، واستمع إلى ذلك النداء جيدًا ، وترجم لى فحواه مباشرة .

وأدنى جهاز التسجيل من الهاتف ، وضغط زر الاستعادة ، وانتظر لحظات ، ثم سأل فى لهفة :

ـ هه .. ما الذى يعنيه هذا ؟

واستمع إليه فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. عد إلى نومك يا (ماريوس) .. لقد أديت لى خدمة حقيقية ، لأوّل مرة فى حياتك .

ثم نهض يلتقط مسدسه ، ويدسّه فى حزامه ، وهو يرتدى سترته ، فهتفت به زوجته :

ـ هل ستخرج ثانية ؟

التفت إليها ، قائلًا :



ثم نهض يلتقط مسدسه ، ويدسّه فى حزامه ، وهو يرتدى سترته ، فهتفت به زوجته : ـ هل ستخرج ثانية ؟

ـ بالطبع يا زوجتى العزيزة .. لقد شارفت الليلة نهايتها ، ولست أحب أن يفوتنى المشهد الأخير .. إلى اللقاء .

خفق قلبها فى عنف ، وهو يغادر المنزل ، وراودها ذلك الشعور المزعج ، بأنها لن تراه مرة ثانية .. على قيد الحياة ..

* * *



١٢ ـ وجهًا لوجه ..

(كراكس) .. الثانى عشر من يوليو ..
الخامسة والنصف صباحًا ..

« السادة المسافرون على طائرة (تى . دبليو . إيه) ، المتجهة إلى (نيويورك) ، عليهم التوجّه إلى بوّابة السفر رقم أربعة .. »

تردّد ذلك النداء بعدد من اللغات المختلفة ، فى مطار (كراكس) ، وألوان الشفق المتموّجة ، ما بين الأحمر والبرتقالى والأخضر والأزرق ، تشفّ عن استعداد الشمس لبدء رحلتها اليومية فى السماء ، وتوزّع ثلاثة من رجال (الموساد) ، فى مناطق مختلفة فى المطار ، يفحصون وجوه المسافرين فى اهتمام وحرص بالغين ، ويراقبون كل حركة يأتى بها مسافر أو مودّع أو مستقبل ، بالاشتراك مع عدد من ضباط الجمارك ، الذى منحوا ولاءهم للإسرائيليين ، مقابل مبالغ مختلفة من المال ..

ووسط كل هذا ، ظهر شيخ أشيب الشعر واللحية والشارب ، يخفى عينيه ونصف وجهه المتغضّن خلف منظار

طبى سميك كبير ، وهو يجلس على مقعد متحرّك ، يدفعه شاب أمريكى بسيط ، والشيخ يقول فى ضجر وتبرّم :

ـ لقد تأخرنا .. أراهن على أننا تأخّرنا .. أنت المسئول عن هذا .. دائمًا أنت المسئول .

بدا الحرج على الشاب ، وهو يقول :

ـ رويدك يا جدى .. إنه النداء الأوّل .. ما زال أمامنا الكثير من الوقت ، قبل أن تقلع الطائرة .

لوّح الشيخ بيده ، هاتفا :

ـ خطأ .. خطأ .. أنت تكذب .

زفر الشاب فى ضجر ، قبل أن يقول :

ـ لا تقلق يا جدى .. أرجوك لا تقلق .

انتقلت عيون رجال (الموساد) إلى الشيخ على الفور ، وبدا لهم وجهه المتغضّن ، مع لحيته الكثة وشاربه الضخم ، وذلك المنظار الطبى الكبير أشبه بقناع متقن ، فهمس أحدهم لزميله :

ـ هل ترى هذا الشيخ هناك ؟

أجابه فى توتر :

ـ نعم .. والفكرة راودتنى أيضًا .

قال الأوّل فى حزم :

ـ أراهن على أنه رجل متنكر .. هذه الملامح لا تبدو طبيعية أبدًا .

غمغم الثانى :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار بيده إشارة خفية لأحد ضباط الجوازات ، الذى تبع الإشارة ، حتى وقع بصره على الشيخ ، فهزّ رأسه دلالة الفهم ، واتجه إلى الشيخ مباشرة ، وهو يقول :

ـ هل لى أن أرى جواز سفرك يا والدى ؟

عقد الشيخ حاجبيه الكثين ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لماذا ؟

أجابه الضابط فى صرامة :

ـ إنه إجراء أمنى .

لوّح الشيخ بيده فى حدة ، قائلاً :

ـ ولماذا تقوم بإجراءاتك الأمنية معى أنا بالذات ؟!.. المطار يكتظ بالناس ، فلماذا أنا بالتحديد ؟

تضاعفت صرامة الضابط ، وهو يقول :

ـ جواز سفرك يا رجل ، وإلا ..

هتف الشيخ فى غضب :

ـ وإلا ماذا ؟.. هه .. وإلا ماذا ؟.. هل ستضرب شيخًا مثلى ؟

أسرع الشاب يتدخّل ، قائلاً :

ـ رويدك يا جدى .. الرجل يؤدى واجبه فحسب .

وناول جواز السفر للضابط ، مستطردًا :
ـ ها هوذا جواز السفر .. إننى أعتذر عما بدر من جدى .
هتف الشيخ فى غضب :
ـ تعتذر ؟!.. ولماذا تعتذر ؟!.. أنا لم أرتكب أية أخطاء .
فتح الضابط جواز السفر ، وراح يطالعه فى اهتمام ، بحثًا عن أية علامة من علامات التزوير ، إلا أنه بدا له سليمًا تمامًا ، فقال فى حزم :
ـ معذرة .. سأفحص جواز السفر إلكترونيًا .
صاح الشيخ :
ـ تفحصه إلكترونيًا ؟!.. هذا تعنت .. إسراف .. تجاوز أمنى ..
لم يبال الضابط بثورته ، وهو يحمل جواز السفر إلى حجرة الأمن ، ويدفعه داخل جهاز الفحص الإلكترونى ، فى نفس اللحظة التى لحق به فيها أحد رجال (الموساد) ، وقال فى لهفة :
ـ جواز زائف .. أليس كذلك ؟
حكّ ضابط الجوازات رأسه فى حيرة ، وهو يقول :
ـ بل جواز سفر سليم تمامًا ، لا شبهة فيه ، وأرقامه تطابق ما حصل عليه جهاز الكمبيوتر .. نفس الاسم والصورة والوظيفة .

عقد رجل (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ عجبًا !.. ولكن الرجل بدا لى ...
ثم بتر عبارته ، ليهتف فى حماس :
ـ آه .. فهمت .. جواز السفر سليم ، ولكن الرجل زائف .. لقد حصلوا على جواز السفر ، وصنعوا قناعًا لرجلنا المنشق .. فليقطع ذراعى لو لم يكن الأمر كذلك ..
هزّ ضابط الجوازات كتفيه ، قائلاً :
ـ هذا أمر يسهل التأكد منه .
ثم غادر حجرة الأمن ، واتجه مباشرة إلى الشيخ ، وناول جواز السفر لحفيده الشاب ، وهو يقول :
ـ معذرة .. كانت مجرّد إجراءات أمنية .
هتف الشيخ غاضبًا :
ـ بل هى تعنتات لا مبرّر لها .. سأقاضيكم من أجلها .. سوف ...
قبل أن يتمّ عبارته ، انحنى ضابط الجوازات بغتة ، وجذب لحيته ..
وانتفضت أجساد رجال (الموساد) الثلاثة ..
وكانت المفاجأة مدهشة ..
مدهشة بحق ..

★ ★ ★

ألقى (رونالد جير) نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الخامسة وأربعين دقيقة ، وهو يقف عند الميناء القديم ، وتطلّع فى صمت إلى الأفق ، حيث بدأت الشمس رحلتها ، فسأله (جولهى) فى قلق :
ـ هل تعتقد أنهما سيحضران إلى هنا ، فى الموعد المحدّد ؟
أجابه (جير) فى حزم :
ـ أحدهما سيأتى على الأقل .
قال (جولهى) قلقًا :
ـ ولكنه فخ واضح للغاية .
هزّ (جير) رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ـ ليس فخًا يا رجل .. إنها مقايضة واضحة ومباشرة ، وسيفهمها كلاهما على الفور .. إننا نطلب حياة (يائيل) مقابل حياة الفتاة .
قال (دار) :
ـ وهل تعتقد أن (يائيل) يمكن أن يضحى بحياته من أجلها ؟
ابتسم (جير) فى سخرية ، قائلاً :
ـ بل أنا واثق من أنه لن يستطيع مقاومة هذا . ألم يحتمل كل ما احتمل من أجلها ؟!.. أليس حبه لها هو الذى دفعه لطلب الاعتزال المبكر ، وهو الذى فعل به كل هذا ؟!

قال (دار) فى حزم :
ـ (أدهم صبرى) سيمنعه من الحضور .. لو أننى فى مكانه لما خاطرت بخسارته من أجلها .
أجابه (جير) فى برود :
ـ من حسن الحظ إذن أنك لست فى مكانه ، فأنت لا تتردّد فى التضحية بأمك نفسها ، فى سبيل سلامتك ، أما هو ، فمقدار ما لديه من حماقة يدفعه للمخاطرة بحياته ، فى سبيل الآخرين .
مطّ (جولهى) شفتيه ، مغمغمًا :
ـ لن يمكننى فهمه أبدًا .
أشار (جير) بيده ، قائلاً :
ـ لا تحاول .
ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :
ـ والآن دعونا لا نقف هنا .. اذهب فاختف خلف ذلك الرصيف هناك يا (دار) .. أما أنت يا (جولهى) ، فعند المخزن القديم .
سأله (دار) :
ـ وماذا عن الفتاة ؟
أجابه (جير) فى هدوء :
ـ اتركها داخل السيارة ، حتى نحتاج إليها .

غمغم (دار) :
ـ فليكن .
قالها ، وأسرع نحو الرصيف القديم ، واختفى خلفه ، وهو يمسك مسدسه فى تأهُّب ، فى حين اتجه (جولهى) إلى المخزن القديم ، وقال لأحد رجاله فى حزم :
ـ لو حاول ذلك الأمريكى اللعين كسب الموقف لصالحه ، أطلق عليه النار بلا تردُّد ، وسندّعى بعدها أن (أدهم صبرى) هو الذى فعل هذا .
كانوا خمسة من رجال (الموساد) ، وثلاثة من المخابرات الأمريكية ، لا يظهر منهم سوى (جير) وحده ، أما الباقون فيختفون فى أماكن شتى ، بحيث يمكنهم مراقبة الميناء القديم كله ، والسيطرة على كل ركن فيه ..
وراحت الدقائق تمضى فى بطء ، وعشرات التساؤلات تشتعل فى أعماق (جير) ..
تُرى أيهما سيأتى ؟!..
(يائيل) وحده ، أم (أدهم) ؟!..
أم أن كليهما سيأتيان ؟!..
لم يضع فى اعتباره قط احتمال عدم قدومهما ، فقد درس شخصيتهما جيدًا ، ويدرك أن أحدهما سيأتى حتمًا .
أحدهما على الأقل ..

ولكن من ؟!..
من ؟!..
سرت فى أعماقه قشعريرة مباغتة ، عندما ارتفعت صيحة بغتة ، من أحد الأماكن ، التى يختفى فيها رجاله ، والتفت إلى مصدرها ، هاتفًا :
ـ ماذا حدث ؟
برز رجل آخر ، قائلاً :
ـ أعتقد أنه (بيل) هناك .
أشار (جير) بيده ، قائلاً :
ـ (بيل) .. أأنت بخير ؟
ولما لم يتلقَّ جوابًا ، انعقد حاجباه فى شدة ، وقال :
ـ اذهب لتفقُّد الأمر يا (آدم) .
أمسك (آدم) مسدسه فى قوة ، وتحرَّك فى خفة ، نحو الموضع الذى يختفى فيه (بيل) ، ولم يكد يبلغه ، حتى هتف :
ـ رباه !.. إنه فاقد الوعى يا (جير) .. إنه ..
بتر عبارته بشهقة عنيفة ، ثم صوت سقوط جسم على الأرض ، فهتف (جير) ، وهو يستلّ مسدسه :
ـ إنه هناك .. أطلقوا النار ..

برز (جولهى) و (دار) من مخبئهما ، مع رجالهما الثلاثة ، وراحوا يطلقون النار على ذلك الموضع فى إسراف ..
وفجأة ، شهق أحد الرجال الثلاثة ، وسقط أرضًا فاقد الوعى ، واتسعت عينا (جير) فى دهشة متوترة ، عندما شاهد ذلك الشىء ، الذى أفقد الرجل وعيه ..
لقد كان سهمًا صغيرًا ، فى قمته كتلة صلبة ، ارتطمت بجبهة الرجل ، وأفقدته وعيه على الفور ..
وفى عصبية ، هتف (جير) :
ـ توقَّفوا .. توقَّفوا .. إنه ليس هناك .
ومع صيحته ، انطلق سهم آخر ، ارتطم بجبهة رجل ثان من رجال (الموساد) ، وأسقطه أرضًا ، فتوقَّف (دار) و (جولهى) ورجلهما المتبقّى عن إطلاق النار ، وتلفَّتوا حولهم فى توتر عصبى ، وهتف (جولهى) :
ـ ماذا حدث يا مستر (جير) ؟!.. هل وقعنا فى فخ ، بدلا من أن نصنع فخًّا ؟!
صاح به (جير) فى عصبية :
ـ اصمت أيها الغبى .. ما زال لدينا سلاحنا الرئيسى .
ثم هتف بصوت مرتفع .
لا داعى لما تفعله .. أفصح عن نفسك ، وإلا قتلنا الفتاة .

ارتفع صوت (يائيل) ، من مكان ما ، وهو يقول :
ـ خطأ يا مستر (جير) .. لقد غادرتم جميعًا مكامنكم ، وأصبحتم فى مرمى نيران بندقيتى ، التى أصوِّبها إلى أحدكم .. والآن أخبرونى .. من منكم يرغب فى المغامرة .
بدا عليهم التوتر الشديد ، وعقد (جير) حاجبيه ، قائلا :
ـ هل تجازف بحياة (نينا) ؟
أجابه (يائيل) فى صرامة :
ـ لو مسستم شعرة واحدة من رأسها ، سأطيح برءوسكم جميعًا .
صاح (جير) :
ـ ولو مسست شعرة واحدة منا ، أقسم أن أنسف رأسها الجميل نسفًا .
قال (يائيل) فى حزم :
ـ اتفقنا يا مستر (جير) .. ألقوا أسلحتكم ، وسألقى سلاحى :
قال (دار) فى حدة :
ـ لن أتخلّى عن سلاحى قط .
وألقى (جولهى) سلاحه أرضًا ، وهو يقول فى غضب :
ـ أيها الغبى ، لن يمكنك الاستفادة به فى الجحيم .

تبعه رجل (الموساد) ، وألقى سلاحه بدوره ، فى حين تردّد (دار) لحظة ، قبل أن يلقى مسدسه فى غضب ، هاتفًا :

ـ اللعنة .

وبقى (جير) وحده ، وهو يقف متوترًا ، عاقدًا حاجبيه ، فسأله (يائيل) :

ـ وماذا عنك يا مستر (جير) ؟

أجابه (جير) فى حدة :

ـ ألق سلاحك أولًا .

قال (يائيل) فى حزم :

ـ كلّا يا مستر (جير) .. إننى أمنحك فرصة واحدة لإلقاء مسدسك ، وإلا نسفت رأسك مباشرة .

انعقد حاجبا (جير) فى شدة ، حتى خيِّل للإسرائيليين الثلاثة أنهما لن يفترقا بعدها أبدًا ، وهو يلقى سلاحه فى حدة ..

وارتفع صوت (يائيل) ، قائلًا :

ـ عظيم .

ومن منطقة بعيدة ، عند مخزن السيارات المتهالك ، برز (يائيل) ، وهو يحمل بندقيته ..

وفى سخط ، غمغم (جولهى) :

ـ ذلك الحقير خدعنا جميعًا .

وقال (دار) :

ـ أقسم أن أقتله والفتاة معًا .

أما (يائيل) نفسه ، فقد بقى ثابتًا صامتًا لحظات ، ثم تقدّم نحو (جير) فى حذر ، وهو يقول :

ـ أين (نينا) ؟

أشار (جير) إلى ساعته ، قائلًا فى عصبية :

ـ إنها لم تبلغ السادسة بعد .

أجابه (يائيل) :

ـ أعلم هذا .. صحيح أن قواعد اللياقة تحتم عدم الحضور قبل الموعد ، ولكن فى عملنا ، من الأفضل أن تصل قبل الموعد ، حتى يمكنك دراسة تحركات خصمك ، على أرض المعركة .

عقد (جولهى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ من أين اكتسبت هذه الخبرة ؟

التفت إليه (يائيل) ، وأجابه فى صرامة :

ـ من إصراركم على القضاء علىّ .

قال (جير) فى توتر :

ـ كان المفروض أن تلقى سلاحك أيضًا .

أجابه (يائيل) صارمًا :

ـ ليس قبل وصول (نينا) .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكل منهما يتطلّع إلى عينى الآخر فى صرامة ، ثم التفت (جير) إلى رجل (الموساد) ، قائلًا :

ـ احضر الفتاة .

تردّد الرجل لحظات ، حتى قال له (جولهى) فى حسم :

ـ أحضرها .

وهنا تراجع الرجل فى بطء ، ثم انطلق يعدو نحو خزان مياه قديم ، فتسلّق سلمه فى نشاط ، وغاب داخله لحظات ، وعاد وهو يمسك (نينا) المقيّدة فى إحكام ، ولم يكد بصرها يقع على (يائيل) ، حتى هتفت فى لهفة مذعورة :

ـ (يائيل) .. لماذا أتيت ؟.. لماذا ؟

أشار (جير) للرجل بالتوقّف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ والآن يا (يائيل) .. أأنت مستعد للمقايضة ؟

سأله (يائيل) بلهجة شبه ساخرة :

ـ أية مقايضة يا مستر (جير) ؟!.. (نينا) هنا ، وأنا أحمل السلاح ، فما الذى يدعونى للمقايضة ؟!

ابتسم (جير) فى سخرية ، وهو يشير إلى الرجل الممسك بـ (نينا) ، قائلًا :

ـ هذا يدعوك إليها .

ومع إشارته ، أبرز الرجل بغتة ، مسدسًا قويًا ، وألصق فوهته بجبهة (نينا) ، التى شهقت فى ذعر ، وامتزجت شهقتها بضحكة (جير) الساخرة ، وهو يقول :

ـ هل تصوّرت أنك تتعامل مع هواة يا (يائيل) ؟!.. حضورك المبكر كان فى الحسبان أيضًا .. أعترف أننا فتشنا المكان كله ، دون أن ننتبه إلى وجودك ، وهذا قصور شديد فينا ، ولكننى اتخذت الحيطة ، وأخفيت مسدسًا قويًا ، فى نفس المكان الذى احتفظنا فيه بفتاتك .. ولقد أفلحت الخطة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى ظفر :

ـ والآن يا عزيزى (يائيل) .. أيهما تختار ؟.. حياتك أم حياة محبوبتك .

هتف (جولهى) ، وهو ينحنى لالتقاط مسدسه فى سرعة :

ـ رائع يا مستر (جير) .. رائع .

أما (دار) ، فقد وثب يلتقط مسدسه بدوره ، صائحًا :

ـ دعنى أنا أختار .. لقد اخترت حياتكما معًا .

وهنا تحرّك (يائيل) فى سرعة ، هاتفًا :

ـ وماذا عن حياتك أنت ؟

ودار جسده فى مرونة مدهشة ، ليطلق رصاصته الأولى نحو ذلك الرجل ، الذى يمسك (نيفا) ، ويطيح به بإصابة دقيقة مباشرة ، ثم يلتفت إلى (دار) و (جولهى) ، ويطلق النار على المسدس الذى يمسك به الأوّل ، فى نفس اللحظة التى انقضّ عليه فيها (جير) ، هاتفًا :

ـ لن تربح أبدًا .

انحنى (يائيل) متفاديًا الرصاصة ، التى أطلقها (جولهى) نحوه ، ثم أدار بندقيته فى سرعة مدهشة ، وضرب وجه (جير) بكعبها فى عنف ، قبل أن يديرها مرة أخرى ، ويطلق منها رصاصة ثالثة ، أطاحت بمسدس (جولهى) ، قبل أن تنطلق منه رصاصة أخرى ..

وسقط (جير) فى عنف ، مع قوة الضربة ، ثم هبّ واقفًا ، وحدّق فى المسدسين ، اللذين أطاحت بهما رصاصات (يائيل) ، قبل أن يشير نحوه ، صارخًا :

ـ يا للشيطان !.. أنت لست (يائيل) .. لست (يائيل) .

وهنا اعتدل (أدهم) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستعيد صوته الطبيعى ، قائلاً :

ـ بالطبع أيها الذكى .. أنا لست (يائيل) .

وكانت مفاجأة للجميع ..

مفاجأة مذهلة .

* * *

١٣ ـ البديل ..

جذب ضابط الجوازات لحية الشيخ فى عنف ، فاشرأبّت أعناق رجال (الموساد) الثلاثة ، وتوقّعوا أن ينكشف أمر الشيخ المزيّف ، ولكن أجسادهم انتفضت فى عنف ، مع تلك الصرخة التى أطلقها الشيخ :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟

ارتدّ ضابط الجوازات مصعوقًا ، أمام تلك المفاجأة ، فى حين راح الشيخ يصرخ :

ـ هذا تعنّت .. جنون .. أين المسئول هنا ؟.. أريد شخصًا يمكننى مقاضاته .

وهتف حفيده محنقًا :

ـ هل لك أن تفسّر لى ما فعلته ؟.. إننى أطالب بتعويض مناسب !

ارتبك ضابط الجوازات ، واضطرب ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيّدى .. معذرة .. لم يكن هذا مقصودًا .. أنا مستعد لأية ترضية .. أنا رهن إشارتكما .

صرخ الشيخ :

ـ أريد تعويضًا عما أصابنى ، وما لحق بى من إهانة .. مليون دولار .. سأطلب مليون دولار على الأقل .

امتقع وجه ضابط الجوازات ، وهو يقول :

ـ لا داعى لتعقيد الأمور يا سيّدى .. قلت لك إننى مستعد لأية ترضية .

صاح الشيخ :

ـ كلا .. لن أقبل بأقل من ... من ...

ثم اجتاحته نوبة سعال عنيفة ، فلوّح حفيده بيده ، وقال :

ـ معذرة .. سنناقش هذا فيما بعد .. جدى يحتاج إلى جرعة ماء .

هتف الشيخ :

ـ دورة المياه .. اذهب بى إلى دورة المياه فى سرعة .

دفع حفيده المقعد المتحرّك أمامه مسرعًا ، حتى بلغ دورة المياه ، وضابط الجوازات يتابعهما بوجه محتقن ، قبل أن يتجه إلى رجل (الموساد) ، قائلاً فى حنق :

ـ لعنة الله عليكم .. لقد وضعتمونى فى موقف شديد الحرج .

لم يكن يدرى ، أنه فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الشيخ ينهض من مقعده المتحرّك ، وهو يقول لحفيده فى جذل :

دفع حفيده المقعد المتحرك أمامه مسرعًا ، حتى بلغ دورة المياه ، وضابط الجوازات يتابعهما بوجه محتقن ..

- هل لعبت دورى جيدًا ؟
ابتسم حفيده الأشقر ، وهو يقول بالأمريكية :
- كنت رائعًا يا مستر (ويلبى) .
ثم التفت إلى أحد الأبواب المغلقة ، مستطردًا باللغة العربية ، وبلهجة مصرية خالصة :
- كل شىء على ما يرام .
ولم يكد ينتهى من عبارته ، حتى برز أحد رجال المخابرات المصرية ، من خلف الباب المغلق ، وبصحبته رجل ، هو نسخة طبق الأصل من الشيخ ، حتى أن هذا الأخير هتف مبهورًا :
- ربّاه !.. أهذا أنا .
وبسرعة ، جلس ذلك البديل على المقعد المتحرّك ، بدلاً من الشيخ ، وقد بدا نسخة طبق الأصل منه ، باستثناء الطول ، الذى انكمش فى المقعد ليخفيه ، وقال رجل المخابرات المصرى بالعبرية وهو يربّت على كتفه فى اهتمام ، ويناوله جواز سفر (ويلبى) :
- رحلة موفّقة يا مستر (يائيل) .
أومأ إليه البديل برأسه ، مغمغمًا فى توتر :
- أتعشّم هذا .
ابتسم الأشقر ، وقال للشيخ بالأمريكية :
- وداعًا يا مستر (ويلبى) .. كان العمل معك ممتعًا .

هتف الشيخ فى سعادة :
- حقًا ؟!.
لوّح له الأشقر بيده ، ودفع المقعد المتحرّك أمامه ، مغادرًا المكان ، وعائدًا إلى صالة الجوازات ، ففرك الشيخ كفيه ، وقال فى جذل :
- عظيم .. المفروض أن أسجّل هذه اللحظات .. طيلة عمرى كنت أحلم بلعب دور (جيمس بوند)(*) ، ولقد لعبته فى الحياة الواقعية ببراعة .
وضع رجل المخابرات يده على كتفه ، قائلا :
- ولكن الدور لم ينته بعد يا مستر (ويلبى) .
تطلّع إليه الرجل فى دهشة ، قائلا :
- لماذا ؟.. لقد رحل بديلى بالفعل .
أجابه رجل المخابرات بابتسامة هادئة :
- ولكن لو وقع بصرهم عليك ، ستنكشف اللعبة على الفور ، وحتى لو رحلت الطائرة ، فسيطلبون من رجالهم انتظاره فى (نيويورك) ، والتخلّص منه فور وصوله إلى هناك .

(*) جيمس بوند : شخصية رجل مخابرات بريطانى ، يمتلك مهارات فذة ابتكرها (آيان فلمنج) ، رجل المخابرات البريطانى السابق ، ونشر مغامراته كنوع من التعريف بنشاط المخابرات فى البداية ، ثم لم تلبث الشخصية أن نالت شهرة واسعة ، فى جميع أنحاء العالم .

عقد الشيخ حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام :
- عجبًا !.. كنت أظن أن اللعبة قد انتهت !
هزّ رجل المخابرات رأسه نفيًا ، وهو يقول :
- بل بقيت خطوة هامة يا مستر (ويلبى) .. خطوة يعتمد عليها نجاح العملية كلها .
تطلّع إليه الشيخ فى قلق ، وشعر من ملامحه أن الخطر ما زال قائمًا ..
وبشدة ..

* * *

ارتدّ (دار) كالمصعوق ، وهو يحدّق فى (أدهم) ، الذى انتزع عن وجهه قناع (يائيل) ، وألقاه جانبًا ، وهو يبتسم ساخرًا ..
أما (جولهى) و (جير) ، فقد جمدتهما المفاجأة فى موضعهما ، فى حين أطلقت (نينا) شهقة قوية ، وهى تهتف :
- مستحيل !
أشار إليها (أدهم) بيده ، قائلاً :
- اقتربى يا سيّدتى .. لقد انتهت مرحلة الخطر .
أسرعت إليه (نينا) ، ويداها مقيدتان خلف ظهرها ، فحلّ وثاقها فى سرعة ، وبندقيته مصوّبة إلى الرجال الثلاثة ، فقال (جير) فى غضب :

- لقد قرأت كثيرًا عن حنجرتك المرنة ، وقدرتك المذهلة على التنكّر ، وأعترف أن ما تصوّرته آنذاك ضربًا من المبالغة ، كان فى الواقع أقل بكثير من الحقيقة .
قال (أدهم) ساخرًا :
- إنك تثير غرورى .
واصل (جير) فى مقت :
- وأنت تثير ذهولى ، فلقد كانت لدى قناعة لا تقبل الجدل ، بأنه من المستحيل أن يتنكّر شخص ما فى هيئة أخرى ، دون أن أكشف أمره من اللحظات الأولى .
هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :
- ولكنك كشفت أمرى بالفعل .
لوّح (جير) بيده ، قائلاً :
- ليس بسبب أى قصور فى تنكّرك .. لقد أقنعتنى تمامًا بأنك (يائيل) .. إننى لم أشاهد فى حياتى كلها تنكرًا بهذه القوة والبراعة .. لقد كشفت أمرك عندما أطحت بمسدسى (دار) و (جولهى) .. لو أنك (يائيل) الحقيقى ، لما تردّدت لحظة واحدة فى نسف رأسيهما .. أما (أدهم صبرى) ، فهو رجل المخابرات الوحيد ، الذى لا يلجأ للقتل إلا فيما ندر .
أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. إننى أبغض القتل ، ولا ألجأ إليه إلا مضطرًا .. لقد نسفت رأس الرجل ، الذى كان يمسك (نينا) ؛ لأنه لم يكن هناك من سبيل سوى هذا ، أما بالنسبة لـ (دار) و (جولهى) ، فقد كانت الإطاحة بمسدسيهما كافية .

قال (جير) فجأة :

ـ ولكن لماذا ؟!

تطلع إليه (أدهم) متسائلاً ، فاندفع مستطردًا :

ـ لماذا أتيت بدلا من (يائيل) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لم تكن أعصاب (يائيل) لتحتمل الموقف .. إنه لم يعتد المواجهات المباشرة .

قال (جير) فى حزم :

ـ فقط ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ ألديك تفسير آخر ؟

أجاب (جير) فى عنف :

ـ بالتأكيد .

ثم مال نحو (أدهم) ، مستطردًا فى عصبية :

ـ فى رأيى أنك هنا ؛ لأن (يائيل) فى طريقه للفرار .

كان يصيب كبد الحقيقة تمامًا باستنتاجه هذا ، إلا أن (أدهم) أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

ـ يا له من تفسير عبقرى .. وكيف يفرّ من هنا ، وأنتم تسيطرون على كل مداخل ومخارج المدينة ؟

أشار إليه (جير) ، قائلاً :

ـ ستجدون وسيلة لهذا .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا :

ـ وأنا سأمنعكم من تهريبه .

سأله (أدهم) ساخرًا :

ـ وكيف أيها العبقري ؟

تراجع (جير) ، وتألقت عيناه ، وهو يقول :

ـ ثق بأن لدى وسيلة .

مال (أدهم) نحوه ، قائلاً :

ـ مثل ماذا ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوت رصاصة فى المكان ، وأصابت بندقية (أدهم) ، وأطاحت بها بعيدًا ، وأطلق (جير) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ـ مثل هذا أيها المغرور .

ومن خلف المخزن القديم ، برز الرجل الذى أطلق النار ، وهو يصوّب بندقيته القوية إلى (أدهم) ، ويقول ملوّحًا بيده :

ـ هل وصلت فى الوقت المناسب يا مستر (جير) ؟

ولم يكن هذا سوى (بوناسيو) ..

كبير مفتشى الشرطة ..

★ ★ ★

تنحنح ضابط الجوازات فى توتر ، وحاول أن يرسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، إلا أن ابتسامته عكست اضطرابه الشديد ، وهو يستقبل الأشقر ، الذى يدفع أمامه مقعد الشيخ ، وقال :

ـ معذرة مرة أخرى يا سيّدى .. لم أكن أقصد شيئًا بالتأكيد ، ولكن ..

لوّح (يائيل) بيده ، وأشاح بوجهه متظاهرًا بالغضب ، فجفّف الضابط عرقه البارد فى توتر ، فى حين قال الأشقر :

ـ لقد شرحت الأمر كله لجدى ، وأقنعته بأنك لم تكن تقصد إهانته ، وأنك كنت تؤدى واجبك فحسب .

هتف الضابط :

ـ هذا صحيح .. كنت أؤدى واجبى فحسب ، ولكننى أعتذر ألف مرة .

لوّح (يائيل) بيده مرة أخرى ، وهمهم بعبارة غير مفهومة ، فعاد الضابط يجفّف عرقه ، وهو يقول :

ـ على أية حال ، لقد مضى كل شىء بسلام .. أتعشّم أن تكونا قد قضيتما إجازة جيده هنا .

أومأ الأشقر برأسه ، مغمغمًا ، وهو يناوله جوازى السفر :

ـ هذا صحيح .. بلدكم جميل للغاية .

ألقى الضابط نظرة سريعة على جوازى السفر ، ثم ختمهما بسرعة ، قائلاً :

ـ بالطبع .. بالطبع يا سنيور ، ونحن نرحب بكما فى بلادنا فى أى وقت .

استعاد الأشقر الجوازين ، ودفع المقعد المتحرّك نحو صالة السفر ، والنداء الأخير يتردّد فى المكان ..

وفى أحد الأركان ، عقد رجل من رجال (الموساد) حاجبيه ، وغمغم :

ـ ولكن ماذا لو ... ؟

لم يتم عبارته ، ولكن بذرة الشك نبتت فى رأسه ، فأدار عينيه إلى حيث دورة المياه ، ثم غادر موقعه ، واتجه نحوها فى خطوات سريعة ..

وعندما بلغ بابها ، كان الشك قد تحوّل فى أعماقه إلى شجرة ضخمة ، كبيرة الأغصان ، غزيرة الأوراق والثمار ، فدفع الباب فى عنف ، و ...

وتوقّف محدقًا فى الرجل الذى يقف أمامه ..
فى مستر (ويلبى) الحقيقى ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (دار) فى دهشة ، وهو يحدّق فى (بوناسيو) هاتفًا :

ـ (بوناسيو) ؟!.. هل يعمل لحسابكم يا مستر (جير) ؟

إجابه (جير) فى شىء من الزهو :

ـ بالطبع يا عزيزى (دار) .. إنه يعمل لحسابنا منذ زمن طويل للغاية .. لماذا استقرّ فى منصبه طويلا فى رأيك ، لو لم يكن كذلك ؟

انعقد حاجبا (جولهى) ، وهو يقول :

ـ أعترف لكم بالتفوّق فى هذا المضمار يا مستر (جير) .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً فى سخرية :

ـ وأنا أيضًا أعترف لكم بالتفوّق ، فى كل الأعمال القذرة .

تطلّع إليه (جير) لحظة ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة عريضة ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا مستر (أدهم) .. أشكرك كثيرًا .

ثم أشار إلى (بوناسيو) ، مستطردًا فى زهو :

ـ وبالمناسبة .. (بوناسيو) قنّاص بارع .. لقد حصل على عدة أوسمة من الجيش ، فى هذا المجال ، قبل أن يعتزل العمل ، ويلتحق بجهاز الشرطة .

ومال نحو (أدهم) ، ليضيف شامتًا :

ـ أقول لك هذا ، لتعلم أنه كان باستطاعته قتلك بالرصاصة الأولى ، لولا أنه اعتاد أن يترك لى أنا مهمة اتخاذ مثل هذه القرارات .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ وهل يمكنك بالفعل اتخاذ أية قرارات ؟!

تراجع (جير) فى حدة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، ثم ابتعد عن (أدهم) ، وأشعل سيجارته فى توتر ، فى حين قفز (دار) يستعيد مسدسه ، وفحصه بسرعة ، قبل أن يقول محنقًا :

ـ اللعنة !.. الرصاصة أفسدت المسدس ..

صاح به (جير) فى صرامة :

ـ اصمت يا (دار) .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردًا فى حدة :

ـ والآن يا مستر (أدهم) .. هل ستخبرنى أين أجد (يانيل) ، أم أنك تفضّل الموت دون هذا ؟

أجابه (أدهم) ساخرًا :

ـ ما رأيك أنت يا (جير) ؟.. ما الذى توصّلت إليه دراساتكم لى؟

انعقد حاجبا (جير) فى شدة ، وهو يجيب :

ـ أعلم ما تقصده يا مستر (أدهم) ، فكل الدراسات تؤكّد أنه لا التعذيب ولا الموت يمكنهما إخافتك ، أو دفعك لفعل ما ترفضه .

ثم جذب (نينا) إليه بغتة ، مستطردًا فى شراسة :

ـ ولكن ماذا عن الآخرين ؟

صرخت (نينا) مذعورة ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ إياك أن تمس شعرة واحدة منها يا (جير) .

صاح (جير) غاضبًا :

ـ بل سأجتزّ عنقها كله ، لو لم تتعاون معى يا مستر (أدهم) .

ودفع (نينا) جانبًا ، وهو يصرخ :

ـ (بوناسيو) .. عند أوّل إشارة منى ، انسف رأس هذه المرأة .

شهقت (نينا) فى رعب ، وقال (أدهم) فى غضب صارم :

ـ لقد حذّرتك يا (جير) .

صاح به (جير) :

ـ وأنا أيضًا حذّرتك يا مستر (أدهم) .. إما أن تخبرنى أين أجد (يانيل) ، أو تشاهد رأس هذه الجميلة ، وهو ينفجر أمام عينيك .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ، فى حين اندفع نحوه (دار) ، قائلا فى حدة :

ـ هل سمعت يا رجل .. أفصح عن مكان (يانيل) ، أو ...

وقبل أن يتم عبارته ، انقضّ عليه (أدهم) بغتة ، وأحاط عنقه بساعده ، وهو يقول :

ـ أو ماذا أيها الوغد .

توتر الموقف بشدة . و (أدهم) يستطرد :

ـ أعتقد أن هذا يقلب الموقف كله يا (جير) .

انعقد حاجبا (جير) فى غضب ، ثم أشار إلى (دار) ، وقال (بوناسيو) فى صرامة :

ـ أزل هذه العقبة .

اتسعت عينا (دار) فى ارتياع ، وهتف (جولهى) :

ـ هل جننت يا (جير) ؟

ولكن (بوناسيو) ضغط زناد بندقيته بلا تردّد ..

وانطلقت الرصاصة ..

واخترقت جبهة (دار) ، الذى اتسعت عيناه فى ألم وذهول ، قبل أن يتهاوى جثة هامدة ، و (جير) ينفث دخان سيجارته ، قائلا :

ـ والآن ، هل نعاود مفاوضاتنا يا مستر (أدهم) ؟

صرخ (جولهى) فى غضب هادر :

ـ أنت مجنون .. مجنون تمامًا .. لقد قتلت (دار) بلا رحمة .

أجابه (جير) فى صرامة :

ـ اصمت يا رجل .. عملنا لا يعرف الرحمة .

انحنى (جولهى) يلتقط مسدسه ، وهو يهتف :

ـ فليكن .. ما دام عملنا لا يعرف الرحمة ، فسأبعدك عنه إلى الأبد يا (جير) .

وصوّب مسدسه إلى (جير) ، الذى صرخ :

ـ (بوناسيو).

وبسرعة مدهشة ، أدار (بوناسيو) فوهة بندقيته إلى (جولهى)، وأطلق النار ..

وفى نفس اللحظة ، التى استقرّت فيها الرصاصة فى صدر (لون جولهى) ، تحرّك (أدهم صبرى) ..

لقد وثب إلى الأمام ، وركل (جير) فى وجهه بقوة ، ثم جذب (نينا) إليه ، هاتفًا :

ـ أسرعى .

شهقت (نينا) ، وهى تعدو إلى جواره مذعورة ، وهتف (جير) فى ثورة :

ـ اقتلهما يا (بوناسيو) .. اقتلهما معًا .

أطلق (بوناسيو) رصاصة ، تجاوزت رأس (أدهم) بسنتيمترين فحسب ، فصرخت (نينا) :

ـ لا فائدة .. لا فائدة .

جذبها (أدهم) فى سرعة أكبر ، محاولاً الإفلات من الرصاصة الثانية ..

ولكنها فقدت توازنها بغتة ..

ومع سقوطها ، انحنى (أدهم) ، وسمع أزيز الرصاصة الثانية ، وهى تعبر فوق رأسه مباشرة ، و (جير) يصرخ كالمجنون :

ـ اقتلهما يا رجل .. اقتلهما .

وتوقّف (أدهم) لحظة واحدة ، محاولاً انتشال (نينا) من سقوطها ..

ولم يكن (بوناسيو) بحاجة إلى أكثر من هذه اللحظة ، كقنّاص محترف سابق ، ليصوّب بندقيته المزوّدة بمنظار مقرّب إلى رأس (أدهم)، وهو يقول :

ـ لن تفلت الثالثة أبدًا .

وفى مركز الخطين المتقاطعين ، فى منظار بندقية (بوناسيو) ، ظهر رأس (أدهم) فى وضوح ، و ...

ودوت رصاصة فى المكان ..

وأصابت هدفها ..

وبمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

١٤ ـ وداعًا للخطر..

(كراكس) .. الثانى عشر من يوليو ..

السادسة صباحًا ..

انعقد حاجبا رجل (الموساد) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى وجه مستر (ويلبى) ، الذى ألقى عليه نظرة لا مبالية ، ثم عاد يغسل وجهه فى عناية ، فى حين تطلّع رجل المخابرات المصرى إلى رجل (الموساد) ، وسأله فى هدوء ، وبلغة إسبانية سليمة :

ـ هل من مشكلة يا سيّدى ؟

التفت إليه رجل (الموساد) ، وأجاب بسرعة :

ـ مطلقًا .. معذرة ، لو أن دخولى المباغت أزعجكما .

هزّ (ويلبى) كتفيه ، وقال فى لا مبالاة :

ـ إنه لم يزعجنا .

رمقه رجل (الموساد) بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

ثم غادر المكان فى سرعة ، فابتسم مستر (ويلبى) ، والتفت إلى رجل المخابرات المصرى ، يسأله فى جذل :

ـ إنه لم يتعرّفنى .. أليس كذلك ؟

أجابه رجل المخابرات :

ـ بالتأكيد .. لقد تغيّرت هيئتك تمامًا ، بعد أن حلقت لحيتك وشاربك ، وخلعت منظارك الطبى ، وأبدلت ثيابك .

قال (ويلبى) فى سعادة :

ـ لو كان (جيمس بوند) فى مكانى لفعل هذا .. أليس كذلك ؟

أومأ رجل المخابرات المصرى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بلى .. لقد تصرّفت مثله تمامًا .

تهلّلت أسارير (ويلبى) ، وهو يقول :

ـ هذا عظيم .. عظيم .

ناوله رجل المخابرات المصرى جواز سفر جديدًا ، يحوى صورته بتلك الهيئة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ كانت هذه الخطوة شديدة الأهمية والخطورة كما رأيت يا مستر (ويلبى) ..

الآن تأكّد رجال (الموساد) أن هذا المسافر هو مستر (ويلبى) شخصيًا ، أما أنت فستتحوّل إلى شخصية جديدة .

التقط (ويلبى) جواز السفر الجديد ، وفتحه فى لهفة ، متسائلاً :

ـ وما الاسم الذى سأحمله الآن !

وشهق فى سعادة ، وهو يهتف :
ـ آه .. (بوند) .. (جيرارد بوند) .. لم أكن أحلم بأفضل من هذا .
ثم مدّ يده يصافح رجل المخابرات المصرى ، قائلاً فى حماس :
ـ لقد أمتعنى العمل معكم كثيرًا ، وأنا رهن إشارتكم ، فى أى عمل تطلبونه فى المستقبل .. أبلغ الجميع هذا .
صافحه رجل المخابرات المصرى مبتسمًا ، وهو يقول :
ـ نحن نقدّر لك هذا يا مستر (ويلبى) .. شكرًا جزيلاً لتعاونك معنا ، وتذكّر دائمًا أننا لا ننسى أصدقاءنا أبدًا .
قال مستر (ويلبى) فى ارتياح :
ـ أنا واثق من هذا .
وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت طائرة (تى . دبليو . إيه) تحلّق متجهة إلى (نيويورك) ، وعلى متنها (يانيل بروزنسكى) ..
وهناك كانت فى انتظاره طائرة مصرية ، لتنقله مباشرة إلى بر الأمان ..
إلى (مصر) ..

★ ★ ★

انتفض جسد (نينا) فى عنف ، مع دوى الرصاصة ، وارتفعت عيناها فى ارتياع إلى وجه (أدهم) متوقّعة أن ترى الدماء تغرقه ، بعد إصابته بالرصاصة ..
واتسعت عيناها فى دهشة ..
لقد كان (أدهم) سليمًا معافى ، معقود الحاجبين ، يتطلّع فى إمعان إلى حيث يقف (بوناسيو) ، فأدارت عينيها إلى حيث ينظر ، ووقع بصرها على كبير المفتشين ، وهو يترنّح فى قوة ، والدماء تتدفّق من بين شفتيه ، وبندقيته تسقط من يده ، وسمعت (جير) يهتف :
ـ اللعنة !.. ماذا حدث ؟
ومع آخر حروف عبارته ، هوى (بوناسيو) جثة هامدة ، وظهر من خلفه رجل آخر ..
(باردو) ..
المفتش (باردو) ، الذى يمسك مسدسًا ، يتصاعد الدخان من فوهته ..
وفى دهشة مستنكرة ، هتف (جير) :
ـ من أنت بالضبط ؟
أبرز (باردو) بطاقته ، وهو يقول :
ـ المفتش (باردو) أيها الأمريكى .. رجل الشرطة الوحيد ، الذى لم تنجحوا فى رشوته .

نهض (أدهم) فى هدوء ، وساعد (نينا) على النهوض ، وهى تسأله متوترة :
ـ ماذا حدث ؟
أجابها فى خفوت :
ـ يبدو أن الأمور انقلبت رأسًا على عقب .
سألته مبهورة :
ـ كيف ؟!
أشار إلى (باردو) ، دون أن يُعلّق بحرف واحد ، فى حين كان (جير) يقول متوترًا :
ـ يبدو أنك لا تفهم ما يدور هنا أيها المفتش .. الأمر أكبر منك بكثير .. أكبر من جهاز الشرطة كله .. إنها عملية سياسية فى المقام الأوّل .
قال (باردو) فى سخرية :
ـ ولكن كبير مفتشينا اشترك فيها كأى مجرم أو قاتل أجير .
ثم أضاف فى صرامة :
ـ ونال ما يستحقه .
لوّح (جير) بيده ، قائلاً :
ـ فليكن .. لن نتدخّل فى شئونكم الداخلية .. كل ما نريده هو الرجل والفتاة .

ظهر زورق بخارى فى هذه اللحظة ، وهو يقترب من الميناء القديم ، فأضاف (جير) فى توتر :
ـ وسندفع مقابل هذا بسخاء .
سأله (باردو) :
ـ وما الذى فعله الرجل والفتاة ؟
صاح (جير) :
ـ ليس هذا من شأنك .. سندفع مليون دولار ، مقابل ابتعادك عن هنا الآن .
قال (باردو) فى صرامة :
ـ من البشر ما لا يمكنك شراؤه بالمال أيها الأمريكى .
هتف (جير) :
ـ ربما كان لدينا ما هو أفضل من المال ، انظر .
ودسّ يده فى جيب سترته الداخلى ، وأخرجها قابضة على مسدس ضخم ، أطلق النار منه نحو المفتش (باردو) ، صارخًا :
ـ القتل مثلاً .
أصابت الرصاصة المفتش ، واقتلعته من مكانه ، فى نفس اللحظة ، التى استدار فيها (جير) إلى (أدهم) ، صائحًا :
ـ وأنت أيضًا يا مستر (أدهم) .
وأطلق رصاصته الثانية ..

وكمحترف ، كان المفروض أن يصيب (جير) هدفيه ، بمنتهى الدقة والسرعة ..

ولكن المشكلة أن يواجه محترفًا أيضًا ..

لقد رأى (أدهم) الرصاصة تصيب (باردو) ، و (جير) يلتفت إليه ، فدفع (نينا) جانبًا ، وهو يهتف :

ـ أتعشّم أنك تجيدين السباحة .

أطلقت الإسرائيلية صرخة ذعر ، قبل أن تسقط فى الماء ، فى حين وثب (أدهم) جانبًا ، وتفادى رصاصة (جير) فى براعة مذهلة ، وهو يقفز إلى الأمام ، ويطير كنسر ضخم ، وينقضّ على الأمريكى ، قائلاً :

ـ دماء كثيرة أريقت الليلة يا (جير) .

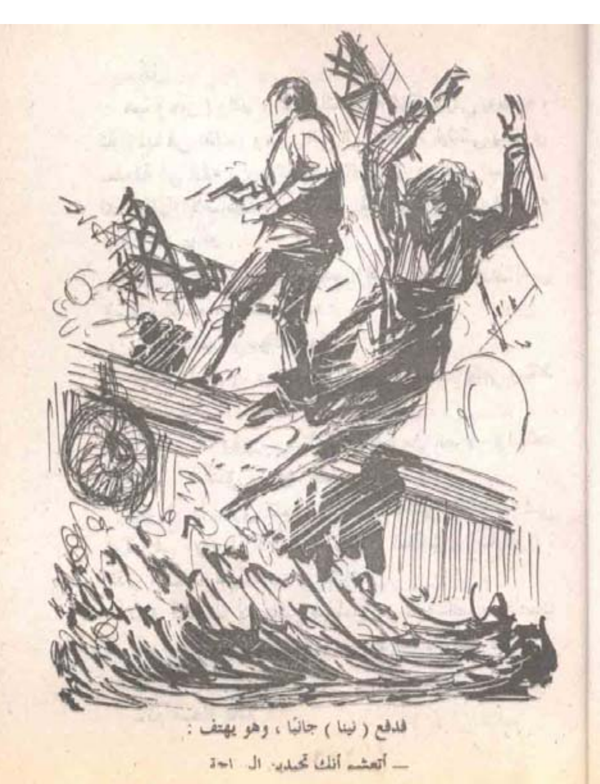
ثم لكمه بكل قوته ، هاتفًا :

ـ وهذا يكفى .

سقط الأمريكى أرضًا ، ولكنه لم يتخلّ عن مسدسه ، فرفعه ثانية فى سرعة ، وهو يصرخ غاضبًا :

ـ من قال هذا ؟

انطلقت من مسدسه رصاصة أخرى ، كادت تصيب (أدهم) ، لولا أن قفز فى الهواء ، ودار حول نفسه دورة رأسية ، قبل أن يهبط على قدميه ، ويركل المسدس من يد (جير) ، قائلاً :



فدفع (نينا) جانبًا ، وهو يهتف :

ـ أتعشم أنك تجيدين السباحة

ـ أنا .

هبّ (جير) واقفًا ، فاستقبلته لكمة كالقنبلة فى معدته ، تأوّه لها فى عنف ، وهو ينثنى إلى الأمام ، ليلتقى بأخرى ساحقة فى أنفه ، أجبرته على الاعتدال ، وعلى استقبال لكمة ثالثة كالصاعقة ، هوت على فكه فى عنف ، وأسقطته أرضًا بلا حراك ..

وفى اللحظة نفسها ، وصل الزورق البخارى إلى الميناء القديم ، وهتف قائده :

ـ أأنت بخير يا سيادة العقيد ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يسرع نحو البقعة ، التى سقط عندها المفتش (باردو) :

ـ نعم .. أنا بخير .. انتشل السيّدة من الماء ، واستعد للإقلاع .. سألحق بك بعد قليل .

ألقى الرجل طوق النجاة لـ (نينا) ، التى تشبّثت به فى قوة ، فى حين بلغ (أدهم) موضع المفتش (باردو) ، الذى استقبله ملوّحًا بيده ، قائلاً :

ـ لو أنك هنا لإسعافى فاطمئن .. الرصاصة غاصت فى أكوام الشحم ، التى تغطى جسدى ، ولكنها لم تبلغ موضعًا قاتلاً :

ـ ثم ضحك قائلاً :

ـ ليت زوجتى تعلم أن ذلك الشحم ، الذى تطالبنى دومًا بالتخلّص منه ، هو الذى أنقذ حياتى .

فحص (أدهم) موضع الإصابة ، قائلاً :

ـ ولكنك تحتاج إلى إسعاف عاجل .

لوّح المفتش (باردو) بجهاز اللاسلكى ، قائلاً :

ـ لقد طلبت حضورها بالفعل .

ثم سعل مرة أو مرتين ، قبل أن يسأل (أدهم) فى جدية :

ـ أجبنى بصراحة .. إنك لم تقتل السيناتور (ستاسى) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لم أومن بالاغتيالات فى حياتى قط .

تنهّد (باردو) فى ارتياح ، قائلاً :

ـ عظيم .. الآن فقط أشعر أننى أديت واجبى بأمانة .

قال (أدهم) :

ـ ولكنك قتلت كبير المفتشين .

أومأ (باردو) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لدى أدلة تثبت إدانته ، وتورطه مع الأجانب ، ضد مصلحة وطنه .. اطمئن .. كل شىء قانونى تمامًا .

سأله (أدهم) :

- وماذا عن (جير) ؟
قال (باردو) :
- أتقصد ذلك الأمريكى ؟!.. سأعتقله بالطبع ، حتى تتدخل السفارة الأمريكية للإفراج عنه .
سأله (أدهم) فى هدوء :
- وكم يستغرق هذا فى المعتاد ؟
عقد (باردو) حاجبيه ، وهو يسأله :
- كم تحتاج من الوقت ؟
ابتسم (أدهم) ، مجيبًا :
- أربع وعشرون ساعة ستكون أكثر من كافية .
قال (باردو) فى حزم :
- اتفقنا .
صمت (أدهم) لحظة ، ثم نهض قائلاً :
- ولكن لماذا تفعل هذا ؟
تطلّع إليه (باردو) بضع لحظات ، ثم هزّ كتفيه ، قائلاً :
- هذه الليلة كانت طويلة أكثر مما ينبغى ، وأعتقد أنه حان الوقت لوضع نهاية لها .
ثم أضاف مبتسمًا :
- وبالمناسبة .. ذاكرتى تصاب أحيانًا بضعف مباغت ، فأنسى بعض الأشخاص ، وخاصة أولئك الذين يرحلون فى زوارق بخارية .

ابتسم (أدهم) بدوره ، وهو يقول :
- هذا رائع .. بل أكثر من رائع .
وبينما استرخى (باردو) فى مكانه ، فى انتظار وصول سيارة الإسعاف ، التى تردّد صوت بوقها من بعيد ، كان (أدهم) و (نينا) يبتعدان بالزورق البخارى عن الميناء القديم ..
الميناء الذى شهد لحظات الصراع .. ولحظات الخطر .

* * *



١٥ ـ الختام..

(القاهرة) .. الثالث عشر من يوليو ..
السابعة مساءً ..
ألقت (نينا) نفسها بين ذراعى (يائيل) ، وانفجرت باكية فى حرارة ، وهى تهتف :
- (يائيل) .. واحبيبى (يائيل) .. لم أتصوّر قط أننا سنلتقى ثانية .
احتواها فى صدره بحنان بالغ ، وهو يغمغم :
- ولكننا فعلنا يا عزيزتى .
ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، مستطردًا :
- والفضل للسيّد (أدهم) .
لوّح (أدهم) بكفه ، قائلاً :
- الفضل لله (سبحانه وتعالى) أولاً يا رجل .
سأله (يائيل) فى اهتمام :
- ولكن أخبرنى يا سيّد (أدهم) .. لماذا كانت كل هذه المطاردات ، والمناورات المعقّدة ، ما دامت خطتكم تعتمد على إخراجى من المطار مباشرة ، بهذا الأسلوب المبتكر الدقيق ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء :
- كان من الضرورى أن نجد وسيلة لمغادرة السفارة ، وأن نقنع الإسرائيليين بأننا نخطط لتهريبك بوسيلة معقّدة .
أومأ (يائيل) برأسه ، قائلاً :
- فهمت .. كنت تخدعهم .
ثم أضاف فى مقت :
- وهم يستحقون الفشل .
رمقه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :
- أنتم جميعًا كنتم تستحقون الفشل يا رجل ، ولا تنس أنك عشت حياتك كلها تسفك دماء الآخرين .
خفض (يائيل) عينيه ، وهو يقول فى أسى :
- لن يمكنك أن تتصوّر كم أشعر بالندم لهذا .
واندفعت (نينا) تقول :
- لقد وعدنى ألا يفعل هذا ثانية قط .
قال (أدهم) فى صرامة :
- لم يعد بإمكانه أن يفعل .
تنهّد (يائيل) ، وقال :
- صدقنى يا سيّد (أدهم) .. أنا مخلص تمامًا فى التعاون معكم .. لقد رتّبوا لى عددًا من الجلسات ، لسماع كل ما لدى .

هزّ (أدهم) رأسه فى بطء ، مغمغمًا :
ـ عظيم .. عظيم .
ثم استدار لينصرف ، فاستوقفه (يائيل) ، قائلاً :
ـ سيّد (أدهم) .. أريد أن أخبرك أننى تعاملت مع العديدين من رجال المخابرات ، ولكننى أدركت ، بعد أن تعاملت معك فقط ، ما الذى تعنيه كلمة محترف .. صدقنى يا سيّد (أدهم) .. أنت المحترف الحقيقى الوحيد ، الذى تعاملت معه ، فى حياتى كلها ، وأنا أكرّر شكرى لك بشدة ، على كل ما فعلته من أجلنا .
أجابه (أدهم) فى هدوء :
ـ قلت لك إننى لم أفعله أبدًا من أجلكما يا (يائيل) .
ثم استدار منصرفًا ، وهو يضيف فى حزم :
ـ لقد فعلته من أجل (مصر) .
قالها ، وغادر المكان فى سرعة وخفة ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..
تمامًا كما يفعل المحترف ..
المحترف الحقيقى .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩